20 me année No 1001

Le Caire 8 — 9 — 1952

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٢٧٤٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٠١ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٨ ذى الحجة سنة ١٣٧١ — ٨ سبتمبر سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

صيحة فى وجه وزارة المعارف

صححوا أكاذيب التاريخ

للأستاذ سيد قطب

إن تلاميذنا وطلابنا لا يعرفون شيئاً حقيقياً عن الأحداث الجارية فى وطنهم اليوم ، بسبب أنهم لا يعرفون شيئاً حقيقياً عن تاريخ بلادهم ، ولا عن الأسباب والملابسات البعيدة ، التى عنها نشأت الأحداث الجديدة

لقد تآمر جماعة من المرتزقة — من مؤلفى كتب التاريخ المدرسية ، مع العهود الظالمة الباغية التى أظلت مصر منذ عهد محمد على ، على كتابة تاريخ مزور ، يطمس الحقائق ويشوهها ، بل يقلب هذه الحقائق ويزورها . وبذلك بقيت طبيعة الفترة ما بين سنتى ١٨٠٠ — ١٩٥٠ مجهولة لدى جميع الأجيال التى خرجتها المدارس المصرية فى ذلك العهد الطويل . والقليلون الذين اطلعوا على مراجع أجنبية لم تمتد إليها يد التزوير المصرية ، لم يكونوا يملكون إذاعة الحقائق ، لأن سيف الطغيان كان مصلتاً على الرقاب !

لقد كان الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى هو أجرأ من كتبوا عن تاريخ هذه الفترة . ولكن هنالك حقيقتين يجب أن نعرفهما :

الحقيقة الأولى : أن الأستاذ الرافعى لم يكن يملك أن يقول كل شىء عن الحكام من أسرة محمد على ؛ لأن هنالك أشياء كان يعاقب عليها القانون لو قيلت . فى أى تعبير وعلى أى شكل . ولم يكن يسمح بطبعها ونشرها فى أى عهد من العهود

وأذكر على سبيل المثال أن المؤرخ أحمد شفيق (باشا) كانت له مذكرات من أواخر عهد إسماعيل إلى آخر عهد عباس الثانى . وكنت أشتغل معه فى إعداد هذه المذكرات للنشر . وكانت تحتوى على شناعات ليست المخازى الأخيرة لفاروق إلا طرفاً منها وامتداداً لها . فى هذه الأسرة لوثة وشذوذ لا شك فيهما لمن يتتبع تاريخ أفرادها . وكنت أحاول أن أنشر شيئاً من الحوادث الكثيرة الواردة بتلك المذكرات الخطية . ولكن القوانين التى سنها الملوثون لحماية أنفسهم وعروشهم كانت تحول بينى وبين هذا . لأن الرجل كان قد ائتمننى على مذكراته ، ولم يكن من الأمانة أن أعرضه وهو شيخ كبير للاتهام والمحاكمة !

ومرة واحدة حاولت أن أنشر فى الجزء الخاص بعباس الثانى ، بعض ما حوته المذكرات من وقائع ، مما تسمح القوانين القائمة بنشره . ولكن عندما تم طبع هذا الجزء فى مطبعة بنك مصر ، وقبل توزيعه ، اتصل الأمير محمد على — وكان بعضهم قد أبلغه — بالمشرفين على المطبعة ، كما اتصل بالسراى ، وبالنائب العام ، لوقف صدور هذا الجزء إلا بعد تعديله . وأجبر الرجل المؤرخ على تغيير صفحات كثيرة ، واستغرق ذلك منى جهداً جديداً . وبذلك اختفت نهائياً تلك الحقائق والوقائع التى لا يعرفها إلا القليلون

ولقد رجوت الرجل فى أن يودع لدى الأصول الخطية

لمذكراته ، فقد يجئ اليوم الذى يمكن نشرها فيه ، ووعدنى بهذا ، ثم بدا له خاطر أن يودعها فى صناديق مقفلة تحفظ فى دار الكتب المصرية وكان ذلك بمشورة الدكتور منصور فهمى مدير دار الكتب المصرية إذ ذاك .. ولكن المنية عاجلته قبل أن يفعل . وعلمت مع الأسف أن معظم هذه المخطوطات قد أعدمه أولاده . وأرجو ألا يكون ما بلغنى صحيحا

ولقد كان فى وسعى أن أنقل لنفسى بعض هذه المخطوطات . ولكن وقف فى وجهى أننى كنت أمينا عليها ، وأن الرجل كان واثقا بأمانتى !

والحقيقة الثانية أن الكتب المدرسية التى لا يقرأ معظم المتعلمين غيرها فى تاريخ تلك الفترة ، هى التى طبعت غالبية العقليات . وهى كتب مزورة كما قلت . ومع هذا فهى لا تزال مقررة فى المدارس . وهذه مسألة خطيرة جدا

لقد تركنا أجيالا من التلاميذ والطلاب فى خلال مائة وخمسين عاما مضللة ، لا تعرف شيئا حقيقيا عن أخطر مرحلة فى تاريخ مصر الحديث ، بل فى تاريخ الشرق كله

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن محمد على أوجد مصر الحديثة من العدم . ولم يكن هذا صحيحا ؛ فمصر كانت قبل محمد على أقوى بكثير فى جوانب شتى . ويكفى أن نعرف أن الفرنسيين عندما استولوا على مصر خاضوا مع الشعب معارك كثيرة وفى كل مكان قبل أن تخضع مصر لهم ؛ وظلت الثورات الشعبية تهددهم طوال مدة إقامتهم . وكان ذلك قبل استيلاء هذه الأسرة الملوثة الشاذة على مقاليد الحكم فى البلاد . بينما الإنجليز وجدوا الطريق أمامهم مفتوحة بعد نصف قرن فقط ، ولم يجدوا مقاومة شعبية تذكر ؛ لأن طغيان هذه الأسرة كان قد حطم كبرياء الشعب وروحه المعنوية فى أوائل عهد توفيق !

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن تحطيم محمد على للحركة الوهابية فى الجزيرة العربية كان عملا عظيما . وهو فى حقيقته كان جناية تاريخية على النهضة الإسلامية التى كان يمكن أن تبكر مائة عام عن موعدها ، لو تركت هذه الحركة تمضى فى طريقها ، وتبلغ أهدافها فى ذلك الحين

تركنا هذه الأجيال كلها تفهم أن ثورة المهدى فى السودان كانت عملا عدائيا بالنسبة لمصر ، وأن مصر ردت هذا العمل العدائى وحطمت المهدى وثورته . والحقيقة أن ثورة المهدى فى السودان كانت ضد الحكم الإنجليزى فى مصر وضد الحكام الخاضعين للاحتلال . وكان هدفها تطهير الوادى من الاحتلال الأجنبى وسيطرة الفكرة الإسلامية على الوادى كله . وكان القضاء عليها هو الخيانة الوطنية التى ارتكبتها حكومة مصر تحت ضغط الاحتلال ؛ ثم ظلت هذه ثغرة بين شطرى الوادى ، كما أراد لها الاستعمار أن تكون !

تركنا هذه الأجيال تفهم أن إسماعيل كان حاكما عظيما ، وأنه أحد بناة الدولة العظام ؛ وسترنا فضائحه التى لا تقاس إليها فضائح فاروق نفسه ؛ وسترنا الكوارث التى جرها على الوطن والشعب ؛ وتركنا الآلام التى جرعها لشعب مصر فى حياته وبعد مماته ، وسميناه ساكن الجنان ! وسميناه المغفور له ! والله يعلم أين مثواه ومثوى آبائه الأولين !

ولقد آن أن نصحح التاريخ الذى زوره المزورون على هذه الأجيال الكثيرة . آن أن نعرف من هو محمد على على حقيقته . ما هو الشذوذ الكامن فى شخصيته ، والذى ورثه أبناؤه من بعده . وهو شذوذ واضح كتب عنه الكثيرون ، ولكنه كان محظورا على الشباب أن يعرفوه !

آن أن نعرف من هو إسماعيل على حقيقته . ما هو الشذوذ الكامن فى شخصيته ، والذى ورثه أبناؤه من بعده . وهو شذوذ واضح ، كتب عنه الكثيرون ، ولكنه كان محظوراً على الشباب أن يعرفوه !

نعم آن لنا أن نصحح كتابة التاريخ الذى تدرسه الأجيال المقبلة ، وكفانا تزويرا وتضليلا ، فعلى أساس هذا التزوير والتضليل قامت تلك القداسة المصطنعة لمحمد على وأسرته . هذه الأسرة التى لم تبتل مصر بشر منها ومن حكمها فى خلال مائة وثلاثين عاما

نعم آن أن تتحرر الأجيال المقبلة من خرافة « الأسرة المحمدية العلوية » التى أوجدت مصر من العدم . ولم يبق إلا أن يقال : إنها هى التى حفرت مجرى النيل ، وردمت الدلتا بالطمى ، وخلقت وادى النيل !

سيد قطب

صوت من الماضي

أنا الملك الفتى ..!

للأستاذ محمد محمود زيتون

لبس سليمان بن عبد الملك يوما حلة وعمامة ، ونظر فى المرآة ، فأعجبته نفسه ، ونفخ الشيطان فى منخريه ، فقال :

أنا الملك الفتى

وكان إلى جواره ، إحدى جواريه ، فانطلق لسانها يقول :

أنت نعم المتاع ، لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب
كان فى الناس ، غير أنك فان

ولم ينقض أسبوع حتى مات الخليفة الشاب الذى لم يعرف التاريخ أشد منه حبا للطعام والشراب والنساء ، فى حقبة لم تتجاوز ثلاث سنوات ، احتفلت بالترف والبذخ ، وطفحت بالزيغ والفساد ، والتحزب والتعصب ، والنكال بالأخيار ، ومداراة الأشرار

قيل إن أباه — عبد الملك بن مروان — جاءه نبأ مصير الخلافة إليه . وهو جالس يقرأ فى المصحف ، فأطبقه وقال : « هذا آخر العهد بك » . فما لبث هذا التقى النقى أن استهوته الدنيا بزخرفها ، فتغير حاله ، وأطلق العنان لفرعون بنى أمية — الحجاج بن يوسف الثقفى — الذى ولغ فى الدماء والأشلاء.. وحسب التاريخ مؤاخذة لعبد الملك أن كان الحجاج سيئة من سيئاته

ورث سليمان عن أبيه دولة وصولة ، وجمع مثله بين النقيضين ، فإنه غمط فضل العاملين ، ولم يستثمر جهود القادة الفاتحين الذين وطدوا له دعائم الخلافة ، ومكنوا له فى الملك العريض ، فقلب لهم ظهر المجن ، ولا سيما من كان فيهم قريبا للحجاج أو مقربا منه ، وذلك لما كان بينهما من عداوة قديمة . فقد كان الحجاج يهمل أوامره ويتكبر عليه أيام كان سليمان ولى عهد أخيه الوليد، ومن هنا امتد بغضه للحجاج حتى عصف بأشهر القادة

واتبع سليمان خطة الإيقاع بين الولاة والأمراء ، فدبت عقارب الفتنة بينهم ، وتسللت أفاعى الفساد إلى الحكومة ، ويئست الأمة من الإصلاح ، وقبع كل صالح فى عقر داره يلتمس النجاة

ولم يدخر وزيره الصالح وابن عمه عمر بن عبد العزيز وسعا فى بذل النصيحة له ، ولكن جذور الشر كانت قد بلغت الأعماق فى كل مرفق من مرافق الدولة . ولم يكن عجبا — آخر الأمر — أن تنهار دولة الأمويين بعد اثنين وثمانين عاما ، حملت خلالها جراثيم الانحلال والتدهور ، فقد سئل حكيم : ما سبب زوال ملك بنى أمية مع كثرة العدد والعدد ، والأموال والموالى ؟ فأجاب ، وأحسن الجواب : لأنهم أبعدوا أصدقاءهم ثقة بهم ، وقربوا أعداءهم جهلا منهم ، فصار الصديق بالإبعاد عدوا ، ولم يصر العدو بالتقريب صديقا

وفى ذات يوم دخل الملك الفتى . مدينة رسول الله فسأل : هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب رسول الله ؟ فقيل له : أبو حازم ، فأرسل فى طلبه ، فلما دخل عليه سأله : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ فأجابه : لأنكم أخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنقلوا من عمران إلى خراب ... وأغضى الملك الفتى ، ثم أخذ يستزيد أبا حازم : وكيف القدوم على الله ؟. قال : أما المحسن فكغائب يقدم على أهله ، وأما المسىء فكآبق يقدم على مولاه

وبكى أبو أيوب ، ثم قال : يا ليت شعرى ، ما لنا عند الله ؟.. فقال له أبو حازم :

أعرض عملك على كتاب الله . فسأله : فى أى مكان أجده ؟ قال : فى قوله تعالى « إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم » . فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من المحسنين . فقال : فأى عباد الله أكرم ؟. فأجاب : أولو المروءة

وكان وزيره الأمين شديد الحرص على قول الحق ، لا تأخذه فيه لومة لائم . اصطحبه يوما فى الحج ، فراع الخليفة

عدد الرمل والحصى من رعاياه ، فتلفت إلى وزيره وقال : ألا ترى هذا الخلق الذى لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم خصماؤك غدا عند الله . فبكى سليمان أشد البكاء . وقال : بالله أستعين

وفى الواقع أن لحظات الندم التى كانت تطرق ضمير الملك الفتى ، لم تكن غير فواصل عنكبوتية بين طغيان موصول ، واستبداد متأصل ، فقد أشرف يوما على الدنيا ، فأعجبه ما صار إليه من الملك الذى نسجته دماء الشهداء ، ودموع الفقراء ، فنسى هذا كله أو تناساه ، وتلفت إلى الوزير المؤمن وقال له : ياعمر ، كيف ترى ما نحن فيه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا سرور لولا أنه غرور ، ونعيم لولا أنه عديم ، وملك لولا أنه هلك ، وفرح لو لم يعقبه ترح ، ولذات لو لم تقترن بآفات ، وكرامة لو صحبتها سلامة

وبكى سليمان ما شاء له أن يبكى ، ولم يكد يضيق مما فيه حتى دخل عليه أعرابى يقول : يا أمير المؤمنين ، إنى أكلمك بكلام فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ما تحب . فقال : هاته يا أعرابى . فقال الأعرابى :

إنى أطلق لسانى بما خرست عنه الألسن ، تأدية لحق الله ، إنه قد اكتنفك رجال قد أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة ، وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه ، فإنهم لن يبالوا بالأمانة ، وأنت مسئول عما اجترموا ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عند الله عيبا من باع آخرته بدنيا غيره

عندئذ صعر الملك الفتى خده للأعرابى الذى قدم ينصحه بتطهير حاشية السوء ، وبطانة الفساد ، واستكثر أن يكون ذلك التوجيه منبعثا من أعرابى ، فقال : أنت ، ما أنت بأعرابى ، فقد سللت لسانك علينا كما تسل سيفك . فأجابه فى جرأة : أجل يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك

ويشاء مالك الملك أن تنقشع هذه النعمة الغليظة التى جثمت على صدر الخلافة ، فأحس الملك الفتى بقرب منيته ، وآن له أن يستخلف بعد أن عهد إلى ابنه أيوب بالخلافة لولا أنه مات فى حياة أبيه ، ولم يبق لسليمان إلا صبية صغار ، أمر بأن يعرضوا عليه فى أردية الخلافة ، فإذابهم لصغر أسنانهم لا يحتملون ما لبسوا ، وأخذوا يسحبونها سحبا ، ويتعثرون فيها ، فنظر إليهم وهو يقول فى حسرة :

إن بنى صبية صغار قد أفلح من كان له كبار

فقال عمر : يا أمير المؤمنين ، يقول الله تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » . فلم يلتفت إليه الملك المريض ، وأمر بأن يعرض عليه أولاده مرة أخرى عليهم السيوف ذات الحمائل ، فعرضوا . فإذا بهم يتكفأون بها ، ويجرونها ، ولا يطيقون حملها ، والسير بها ، فنظر إليهم ، والدمع يغالبه ، وهو يقول :

إن بنى صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون

وأعاد عليه عمر ما قال آنفا ، فأغمض جفنيه قليلا ، وكأنه اقتنع بأن الخلافة زائلة عنه وعن أعقابه ، فأشير عليه بأن يعقد لابن عمه ووزيره عمر بن عبد العزيز ، فأدار الأمر فى رأسه حتى لم يعد مناص من القبول

واشتد به الوجع فكتب له العهد بخطه ، ولم يطلع عليه أحدا غير رجاء بن حيوة الذى بالغ فى التكتم حتى أنه لم يذكر من ذلك لأحد شيئا إلا بعد موت الملك الفتى ، فنى آخر صحوة له قال : لأعقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب

وحضره إذ ذاك عمر ، ففهم بفطنته أن الخلافة قد أتته تجرر أثقالها ، فأوجس خيفة ، وأفضى بذلك إلى رجاء ، فتظاهر رجاء بالإنكار قائلا على سبيل التمويه : أتظن بنى عبد الملك يدخلونك فى أمورهم ؟!

فاطمأن عمر أو هكذا حاول أن يطمئن ، فلما أعلن النبأ ، وبويع بالخلافة ، طلب إلى أحد خلصائه أن يعظه فقال : يا أمير المؤمنين ، أبونا آدم ، أخرج من الجنة بخطيئة واحدة

محمد محمود زيتون

سيادة الشعب

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

أقسمنا على أن نحرر أمتنا من الطغيان ومن المذلة والعار — أو نموت دون ذلك . محمد نجيب

أفاق الناس كأنما كانوا فى حلم مروع ، وانزاح عنهم كابوس ثقيل جثم على صدورهم ليلة كان طولها ستة عشر عاما ! ! سبحانك ربى تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير

بلغ السيل الزبى وجاوز الطغيان مداه وبلغت القلوب الحناجر وراح الناس يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟؟

وحار الناس فى أمرهم ، وأشفقوا على مصير وطنهم : فحيثما نظروا وجدوا ظلما صارخا وفسادا قائما وفوضى لا أول لها ينظر ولا آخر لها ينتظر . أخلاق تنهار ومجتمع يضمحل وحكم فاسد وفساد يستشرى . قتل للأبرياء الأحرار وسجن وتشريد ونفى وتعذيب . . رشوة ومحسوبية ، سرقة ونهب ، ظلم وغدر : تلك هى قواعد الحكم

وأشهد أنى قرأت الكثير من كتب التاريخ ولكن ما شاهدته مصر لم تقرأ عينى له نظيرا !!

ويئس كثيرون ولكنى كنت دائما أقول « إذا غفلت عين لإنسان فلن تتخلى عنا عناية الرحمن »

وأخيرا جاء اليوم المرتقب وأشرق العهد الجديد السعيد بمشيئة الله . وكان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢

استيقظ الناس من نومهم واستمعوا إلى المذياع . إنه يتلو نداء جديدا . الله أكبر ، هذا يوم كان الشعب ينتظره بفارغ الصبر

لقد كان الجيش ينادى بزوال عهد الفساد والطغيان وبقيام الحكم الصالح فى ظل الدستور

وأشفق المصريون جميعا على رجال الجيش البواسل وانطلقوا يدعون الله أن يكلأهم بعنايته وأن يوفقهم فى حركتهم

وأشهد أن الناس قد أخذوا جميعا بحركة الجيش . لقد كان الملك السابق يعتمد على الجيش فى إذلال الشعب وكان الشعب على أتم استعداد لمقاومة الطغيان لو ضمن حياة الجيش

ونسى الطاغية أن الجيش من الشعب وللشعب وأن الولاء إذا قام حينا على أمل الإصلاح فلن يقوم دواما على الفساد

وامتدت حركة الفساد إلى الجيش ونكل بالأحرار من رجاله وقتل بعضهم جهارا فى شوارع العاصمة

وكان مالا بد أن يكون ، قام الجيش فى ٢٣ يوليو يضع حدا للظلم ، والطغيان ، والفساد

وكانت الحوادث أسرع مما تصور الناس . وجاء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وجلست أستمع إلى المذياع وإذا به يذيع « انتظروا بيانا هاما فى الساعة السادسة » وكرر المذيع ذلك النداء مرارا ، وأشهد أن هذا التكرار قد أشاع القلق فى نفسى ورحت أتساءل : ترى ماذا يكون هذا النبأ ؟ وأخذت أحسب الثوانى والدقائق حتى إذا كانت الساعة السادسة انطلق المذيع يتلو بيان اللواء أركان حرب محمد نجيب :

بنى وطنى

إتماما للعمل الذى قام به جيشكم الباسل فى سبيل قضيتكم قمت فى الساعة التاسعة من صباح اليوم بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة موجهة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب : الأول أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولى عهده قبل ظهر اليوم . والثانى أن يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة مساء

وقد تفضل جلالته فوافق على المطلبين وتم التنفيذ فى المواعيد المحددة دون حدوث ما يعكر الصفو ...

استمعت إلى البيان وكاد قلبى يقفز من بين ضلوعى ولم تصدق أذناى ما سمعت فانطلقت إلى الشارع أشارك الشعب سروره وابتهاجه ورحت أطوف بالشوارع والطرقات فوجدت الناس من فرط السرور لا يعرفون كيف يستقرون على حال

لقد كان زوال الظلم والطاغية حلما ولكنه أصبح الآن حقيقة واقعة ، وهكذا أدركت مصر عناية الرحمن وعاد لشعبها سلطانه وسيادته

الثورة المجيدة

كنت أقرأ فى كتب التاريخ قصصا خالدة كتبتها جيوش بعض الأمم حين وقفت تدافع عن حرياتها الداخلية وكنت أتساءل دائما: لم لا يقف جيشنا يدافع عن حريتنا الداخلية كما يدافع عن أرضنا ضد العدو الأجنبى وكما فعلت جيوش تلك الأمم ؟؟ وجاء الرد يوم ٢٣ يوليو المبارك

وإنى هنا أصف للقراء بعض تلك المواقف . فى ١٦٨٨ كان يحكم إنجلترا الملك جيمس الثانى وكان كاثوليكيا متعصبا يؤمن بالحق الملكى المقدس ميالا إلى التسامح مع الكاثوليك ولذلك كرهه الشعب والبرلمان . وكان الشعب يمنى نفسه بأنه عند انقضاء أجل جيمس الثانى ستعتلى العرش ابنته مارى وكانت بروتستانتية ولكن فى ١٦٨٨ ولد لجيمس ولد من زوجته الكاثوليكية وبذلك صار وارثا للعرش . فلم يطق الشعب صبرا وثار ضد جيمس واستدعى مارى وزوجها وليم أورنج من هولندا للحضور إلى إنجلترا لتوالى العرش قدما

أرسل جيمس جيشا ليحول بينهما وبين النزول فى أرض إنجلترا ولكن الجيش رفض أن يحارب الشعب وانضم إلى صفوفه فى الترحيب بمارى ووليم وأسقط فى يد جيمس واضطر أن يغادر إنجلترا إلى فرنسا . وتعرف هذه الثورة بثورة ١٦٨٨ المجيدة .

بعد فرار جيمس اجتمع البرلمان وقرر أن عرش إنجلترا خال ودعا مارى ووليم لاعتلائه ، وكان هذا معناه أن الملك مولى من قبل الشعب وبذلك سقطت نظرية التفويض الإلهى واستقر الحكم الدستورى الملكى فى إنجلترا

وفى فرنسا قامت ثورة ١٨٣٠ ضد ملك طاغية هو شارل العاشر . كان هذا الملك رجعيا ظالما لا يؤمن بحرية الشعب ومن ثم عمد إلى مقاومة الحياة النيابية وتعسف ضد أعضاء البرلمان ولكنهم قاوموه . فحل المجلس أكثر من مرة وعدل قوانين الانتخابات وقيد حرية الصحافة وضاق الشعب ذرعا به فقام بالثورة ضده فى ٢٦ يوليو ١٨٣٠

وأمر الملك الجيش بمحاربة الثوار ، ولكن الجنود رفضوا مقاتلة أبناء وطنهم الذين قاموا يدافعون عن حرياتهم وانضموا إليهم وأسقط فى يد الملك وسقط عن عرشه وغادر أرض فرنسا إلى غير رجعة

وتولى العرش بعده لويس فيليب وكان مفروضا أن تستقر الديمقراطية فى عهده ولكن هذا الملك فشل فى تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا فزيف الانتخابات واشترى ذمم النواب ووقف ضد رغبات الشعب فكرهه الشعب

وزادت كراهية الشعب له بسبب ضعف سياسته الخارجية ، ذلك أن فرنسا كانت تحب أن ترفع رأسها فى أوربا وأن تكون لها الكلمة العليا فى شؤون القارة كما كان الحال فى عهد نابليون

ولكن لويس فيليب كان ضعيفا متخاذلا ومن ثم عمل دائما على الخضوع لرغبات إنجلترا وكانت إذ ذاك أكبر أعداء فرنسا من ذلك أن فرنسا رفضت أن تعطى إنجلترا حق تفتيش سفنها بحثا عن العبيد المهربين ، وكان ذلك فى عهد لويس الثامن عشر وشارل العاشر ، ولكن لويس فيليب وافق على ذلك ، وكان فى هذا إذلال للفرنسيين وجرح لشعورهم . من ذلك أيضا أن فرنسا وقفت بجانب محمد على أثناء الأزمة المصرية ١٨٤٠ واعتقد محمد على أن فرنسا ستقف بجواره فى حالة قيام الحرب بينه وبين إنجلترا . ولكن لما اشتد الخلاف وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع تخلى لويس فيليب عن حليفه محمد على وتركه يتلقى وحده ضربات إنجلترا وحلفائها

وأضعفت هذه السياسة المتخاذلة مركز لويس فيليب . وهكذا عجز لويس فيليب عن تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا وعن إحراز المجد لها فى الخارج

وأخيرا ثار الشعب ضده فى فبراير ١٨٤٨ وأمر الملك الجيش بمقاومة الثوار ولكن الجند رفضوا مقاتلة إخوانهم أنصار الحرية واضطر الملك أن ينزل عن عرشه وأن يغادر فرنسا إلى غير رجعة أيضا

تلك هى مواقف خالدة لبعض الجيوش الوطنية التى قامت لحماية حرية شعوبها

ولكن حركة الجيش المصرى الأخيرة كانت أروع الحركات التى سجلها التاريخ المعاصر

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

— ١ —

يعتبر السيد محمد كريم أول زعيم من زعماء الحركة القومية .. ظهر فى مصر قبل أن يظهر فيها سعد زغلول ومصطفى كامل وأحمد عرابى .. فكانت حركته بذلك أول صفحة من صفحات الجهاد القومى فى تاريخ مصر الحديث

ولقد كان السيد محمد كريم شخصية فذة ، وزعيما حقا من زعماء الوطنية المصرية .. فاستطاع بمفرده أن يبث الشعور القوى فى نفوس أهالى الإسكندرية .. وجعلهم يواجهون جيوش الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٩٨ م

تلك الجيوش التى كانت لا تزال فى عنفوان قوتها ومجدها .. والتى كان يقودها نابليون بونابرت . أعظم شخصية حربية ظهرت فى أوروبا خلال القرن الثامن عشر !

وبعد أن احتل الفرنسيون أرض مصر ، لم يتوقف السيد محمد كريم عن الكفاح لحظة واحدة ، ولم يخضع لمشيئة نابليون ، ولم يطأطئ رأسه كما فعل كثيرون غيره .. بل أخذ يثير روح الكراهية فى نفوس الأهالى ضد الحاكم الجديد .. الذى لم يرغب من نزوله بمصر إلا أن يستبدل حكما بحكم .. واحتلالا باحتلال ... وظل السيد يوالى نشاطه واتصالاته بالبلاد التى تمر بها الجيوش الفرنسية .. فى طريقها إلى مصر .. لتمنع الماء عن رجال الحملة ... ولتقابلهم بكل ما استطاعت من أنواع المقاومة

ولما ضاقت القيادة الفرنسية بجهود السيد محمد كريم .. اتهمته بخيانته للجمهورية الفرنسية ، وإثارته العصيان فى نفوس الأهالى .. وحكمت عليه بالإعدام رميا بالرصاص ... وبذلك أصبح بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية .. فى عهد الحملة الفرنسية

* * *

نشأ السيد محمد كريم فى مدينة الإسكندرية نشأة عادية .. كغيره من شبان الثغر .. ولم تكن للاسكندرية قيمة كبيرة فى ذلك الحين .. بعد أن تحول عنها طريق التجارة القديم ، ففقدت بذلك مركزها التجارى العظيم

وكان جمرك الإسكندرية فى يد مراد بك .. يولى عليه من يشاء .. ويعزل من يشاء .. نظير إيراد معلوم

فلما كبر السيد محمد كريم ، ونما عوده ، اشتغل قبانيا .. وكان مشهورا بالصدق والأمانة ، والنشاط وخفة الحركة .. ولذلك سرعان ما عرف اسمه .. وذاع صيته .. حتى سمع به مراد بك ..

مصدر السلطات :

تذهب الدساتير الحديثة جميعا إلى أن الشعب مصدر السلطات وهذه نظرية مقررة ، ولكن أهم من تقريرها أن تكون نافذة وأن يحرص الشعب فعلا على حقوقه فلا يتركها للمضللين والمفسدين

وهذه النظرية ليست حديثة كما يعتقد بل إنها قديمة ، وهى كذلك ليست نظرية مقررة فى الغرب فقط وإنما هى نظرية مقررة فى الشرق منذ جاء الإسلام .

واستمع إلى قول أبى بكر حين تولى الخلافة « أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم »

وهكذا قامت الحكومة الإسلامية الأولى على أساس اختيار الشعب وحددت سلطة ولى الأمر ، فإذا عصا الله وجب عزله ، وكان خوف الخلفاء من الله أكبر عاصم لهم من الزلل

وفق الله قادة العصر الجديد إلى ما فيه خير الشعب وسعادته ، ورعى الله كنانته وحفظ لشعبها سيادته وبارك لها فى جيشها الباسل

أبو الفتوح عطيفة

حاكم مصر .. وزعيم طائفة من أكبر طوائف المماليك ... فعينه مديراً للجمارك .. ثم حاكماً عاماً لمدينة الإسكندرية .. وقد استطاع السيد محمد كريم — بعد أن تسلم مهام منصبه الجديد — أن يحكم البلاد بحكمة وحزم ... وأن يعامل الأهالى معاملة طيبة .. ولذلك احترمه الناس وأحبوه

* * *

وفى شهر يونيه سنة ١٧٩٨ م . . وصلت الأخبار إلى أهالى الإسكندرية . . بأن حملة أوربية تعتزم احتلال مصر

وكان المصريون فى ذلك الوقت . . لا يزالون يحملون فى أنفسهم تلك العقيدة المتوارثة عن عظمة السلطان .. وقوة المسلمين

ولذلك عقدوا العزم على محاربة الجيش الأجنبى ، والوقوف فى وجهه .. مهما بلغت قوته

ومن سوء الحظ أن وصل الأسطول الإنجليزى الذى كان يتعقب الفرنسيين — إلى مياه الإسكندرية قبل وصول الحملة بأيام . . وحاول نلسن قائد الأسطول البقاء فى مياه الإسكندرية فى انتظار الحملة الفرنسية .. وعرض على السيد محمد كريم أن يسمح بإمدادهم بالماء والمؤونة اللازمة لقاهم .. ولكن الحاكم رفض طلبه . قال الأستاذ عبد الرحمن الرافعى : (١)

« ولعل السبب فى الرفض أنه أساء الظن فى مقاصد الأميرال نلسن لأن الإشاعات التى كان الناس يخوضون فيها ذلك الحين ، تنبئ أن « الإفرنج » يعتزمون احتلال مصر . . وكلمة « إفرنج » كانت تتناول الفرنسيين والأوربيين على السواء . . فخشى أن يكون طلب الأميرال نلسن خدعة لها صلة بالحملة المقبلة »

ولم يكتف السيد محمد كريم بالرفض ، وإنما أعطاهم مهلة قصيرة لكى يبرحوا المياه المصرية ، وإلا أطلق عليهم النيران

وعبثا حاول الإنجليز أن يفهموه خطر الحملة القادمة . . فقد وجدوا منه إصراراً وعناداً شديدين

ولم ير « نلسن » أن يضيع وقته فى مناقشات لا فائدة منها . ولذلك قرر الانسحاب عن الشواطئ المصرية

يقول الجبرتى :

(٢) « وفى يوم الخميس الثامن شهر المحرم عام ١٢١٣ هـ ، الموافق ١٧٩٨ م .. ظهرت فى ميناء الإسكندرية عشرة مراكب حربية .. وأرست بعيدا بحيث يراها أهل الثغر .. ولحق بها خمسة عشر مركبا أخرى .. وأرسلوا بعض الجنود إلى الشط فى قارب .. فاستقبلهم كبار البلد ، وعلى رأسهم السيد محمد كريم .. وسألوهم عن شأنهم .. فقالوا إنهم من الأسطول الإنجليزى حضروا للتفتيش عن مراكب الفرنسيين . . فقد علموا أنهم خرجوا فى جيش كبير إلى جهة لا يعلمونها .. فلا تقدرون على دفعهم .. فلم يقتنع السيد محمد والذين معه بصحة ما يقولون ، وقابلوهم بجفاء فقال لهم الإنجليز :

— سنقف بأسطولنا فى عرض البحر لنحافظ على ثغركم ولا نطالبكم إلا بالماء والزاد بالثمن الذى ترضونه .. فرفضوا طلبهم وقالوا :

« هذه بلاد السلطان وليس للفرنسيين ولا لغيرهم علينا سبيل .. فاذهبوا لشأنكم ... »

ولم يكد السيد محمد كريم يتخلص من الحملة الإنجليزية حتى أخذ يفكر فى الخطر الجديد الذى بدأ يلوح فى الأفق .. فالحملة الفرنسية التى وصلته أخبارها قد تأكد لديه قدومها ، بعد أن سمع حديث الأميرال نلسن . وعلم بنشاطه ، وأصبح من الواجب عليه أن يعد للأمر عدته ، وإلا سقطت الإسكندرية فى أيدى المحتلين الأجانب .. وكان عليه أن يسرع بالعمل قبل أن يضيع الوقت ، وتفوت الفرصة

فبادر بالاتصال بمراد بك ، وبالعرب المجاورين للثغر .. طالبا منهم المعونة . وأمر بتحصين أسوار المدينة .. كما طلب من الأهالى حمل السلاح .. استعدادا للكفاح القريب

وباتت الاسكندرية كلها تترقب قدوم الحملة الفرنسية .. حتى رأت وجه البحر وقد تغطى بالمراكب .. فعلمت حينئذ أن وقت الجهاد قد حان .. وأن ساعة الكفاح آتية لا ريب فيها

للكلام بقية — عبد الباسط محمد حسن

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية جـ١ ص ١٣٢

(٢) ابراهيم جلال : من يوميات الجبرتى . ص ٧٨

دماء الشهداء

شهيدان في كفن

للأستاذ عمر عودة الخطيب

« في تاريخنا الزاهر ، دماء زكية خالدة ، خطت آيته الكبرى ، ورسمت حدود عالم إسلامي واسع » ع

— ١ —

قال « عمرو بن الجموح » لصديقه الوفي الحميم « عبد الله بن عمرو » : —

— هل أتاك يا عبد الله حديث النبي الذي ظهر في مكة ... وأقبل عليه الناس من كل فج ، يجتمعون إليه ، ويؤمنون به ، ويعاهدونه على أن ينصروه ويؤازروه ، ويمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ؟

— أجل : لقد وفد على « يثرب » منذ أيام رجل من هؤلاء ما سمعت بمثل حديثه وما رأيت أكثر جرأة منه ... كنت أجلس إلى جواره ، وكان المجلس حافلا . . وقد اجتمع الناس ليعلموا نبأ هذا النبي الذي سفه آراء قومه ، وعاب آلهتهم ، ثم لما عارضوه وآذوه ، وقف في وجههم صابراً ثابتاً ... لا تهده النكبات ، ولا تثنيه الأزمات ...

قال الرجل : إني رسول « محمد » إليكم ، محمد رسول الله الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق ، وهو يدعوكم إلى عبادة الله وحده ، ونبذ هذه الأصنام التي تنحتونها بأيديكم ، ثم تعكفون عليها ، وتقدمون القرابين لها ، وتهملون عقولكم أمامها ، إن لهذا الكون خالقا مدبرا حكيما ، بيده مقاليد الأرض والسماء ... وهو الذي يقول لكم « وفي أنفسكم أفلا تبصرون ... »

قال « عمرو بن الجموح » وقد ثارت حفيظته عندما سمع حديث ذلك الرجل :

— ماذا قلت له « يا عبد الله » ؟ ! وماذا قال له الناس ؟ ! أحسبكم ضربتم عنقه ، وأعدتموه إلى من أوفده ، ليكف عن غزو « يثرب » بمثل هذه الأفكار ، فنحن هنا إلى جوار « اليهود » ، ولو كنا متخذين غير ديننا ، لكان دين « يهود » أقرب إلينا ...

قال عبد الله :

— كلا ... يا عمرو : لقد أراد الله الخير بنا ، إذ بعث لنا رسولا من أنفسنا ، من خير قبائلنا ، وأشرف بقاعنا ... يتلو علينا الكتاب بلسان عربي مبين ، لقد آمن به الناس وآمنت ، وأكرموا رسوله وأكرمت ، وعاهدناه على الطاعة والوفاء ... ومن فضل الله علينا أن كان أكثر من في المجلس من شباب يثرب ، ومن أعرقهم نسبا ، وأكرمهم أبا ، وأرفعهم عمودا ، وأكثرهم يداً ، يا عمرو ... لقد آمنت بمحمد ... وآمن به ابني جابر ، وآمن أبناؤك معاذ ومعوذ وخلاد ، فأسرع إلى النور ، واعتصم بحبل الله ، واستظل براية الإسلام ، قبل أن يسكت اللسان ، وينطق الحسام ...

صعق « عمرو بن الجموح » لهذا الخبر ، فاسودت الدنيا في عينه ، وذهل عن نفسه ، وأصبح يهذي كالمحموم ، ربي ، وحقك ، لا أتركك ، ولن أدع يدا تمسك ، وسوف أحملك إلى بيتي وأعبدك

— ٢ —

تحت جنح الليل والناس نيام و « يثرب » تحلم أحلامها العذاب بعد أن انسابت إلى كثير من بيوتها أشعة طاهرة من ذلك النور الإلهي الذي توهج في مكة ، خرج ثلاثة إخوة جمعت بينهم وشائج الدم ، وأواصر العقيدة ، ووجد بين قلوبهم هدى السماء ، وتعاقدوا على الفداء ، ساروا في أزقة المدينة بخطى وئيدة ، ونور إيمانهم يسعى بين أيديهم ، وكان همسهم الخافت ، وحذرهم الشديد ، يدل على أنهم خرجوا لأمر ذي بال

طرقوا باب جابر بن عبد الله فلباهم ، قال معاذ :

— هل لك إلى خير وثواب جزيل ؟

— أجل ما أحوجني إلى ثواب الله وخيره العميم فماذاك ؟

— هلم إلينا فإن يد الله على الجماعة

تكاثر الفتية المؤمنون من بني سلمة قوم « عمرو » وفي طليعتهم معاذ ، واجتمعوا على الكيد للصنم ، وتسللوا في غفلة من عمرو إلى الدار ، فطرحوه في بعض الحفر ، وكان عمرو ، والصنم في الحفرة ، يحدث نفسه ويقول : لقد حفظت إلهي في بيتي ، وضمنت بهذا السيادة في بني سلمة ، والسدانة على أصنامهم ، وسوف أنصح لقومي أن يحمل كل واحد ربه إلى بيته ، يغسله ويطيبه ، ويعظمه كل صباح ومساء ، ويدين له بالطاعة والولاء

وفى الصباح رأى « عمرو » صنمه المقدس ، الذى كان يحلم به طول ليله ، منكبا على وجهه فى الحفرة ، وقد علاه الرغام ، فورم أنفه غضبا ، وثارت حفيظته ، ورفع الصنم من الحفرة وغسله وطيبه ثم قال ، وهو يربت على الصنم — : وحقك لو كنت أعلم من صنع بك هذا لأخزيته، ثم نظر إليه نظرة صارمة، فيها بشائر من نور الهداية ، لأنها أول الشك فى هذه العبادة ، ولأن فيها صرخة خافتة ضعيفة من العقل الذى خنقته الأكاذيب ، وألجمه التقليد ، ثم هب إلى سيفه وعلقه على الصنم وخاطبه قائلا : إن كان فيك خير فامتنع !

وجاء الفتيان فى الليل — يجرون كلبا وربطوه فى عنق الصنم ، وأخذوا السيف وانطلقوا ، وكأنهم أرادوا بربط هذا الكلب فى عنق الصنم ، أن يوقظوا بهذا الدرس الساخر عقلا وثنيا ، استعبده الخشب والحجر ، وكان درسا ناجحا مؤثرا ، فحين أصبح عمرو سار إلى صنمه فألفاه ملقيا إلى جانب الكلب فى الحفرة ، فهان فى عينه ، وصغر فى نفسه وقال :

تا لله لو كنت إلها لم تكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن

ثم قام إلى الصنم وحطمه ، ودعا زوجه «هندا» وأمرها بأن توقده ، وتطبخ عليه ثم قال لها:اذهبي إلى أخيك عبد الله وابن جابر وقولى لهما : بأنى قد أولمت اليوم وليمة فإذا كان الليل فليغد إلى بيتى كل مسلم فى يثرب ، من بنى سلمة

قالت « هند » وقد عمها البشر ، واستخفها الطرب

حمدا لك يا إلهى ! فلقد أسبغت علينا النعم ، وصرفت عنا النقم ، وبدلت شقاءنا سعدا ، وظلامنا نورا ، وايم الله ياعمرو ما رأيت كاليوم أنسا وسرورا ، لقد أحببتك حبا ملك على نفسى مذ كنت تغدو إلى بيت أخى عبد الله ، وكان الحديث عنك يهز أوتار قلبى ، ثم لما صرت إليك ، كنت أزهو على أترابى بك ، لأنك سيد قومك ، وأكرم عشيرتك ، ولكن هذا كله أمام إيمانك اليوم ، قطرة من بحر ، وحصاة بين در ، فما أنت — الآن — بشر ، بل أنت ملك كريم

— ٣ —

وكرت الأيام ، وتتابعت على المسلمين أحداث ، وظفروا بأعدائهم فى بدر ، وأعملوا فى رقابهم السيوف ، وسقوهم كؤوس الموت الزؤام ، حتى كان « عمرو بن الجموح » يوما فى مصلاه ، مقبلا على ربه ، يقرأ القرآن ، مطمئن النفس ، هانئ القلب، فإذا بصديقه « عبد الله » يدخل عليه فرحا مستبشرا ، فتلقاه بالتحية والترحيب ثم قال له :

— ما وراءك يا عبد الله ؟ !

— لك البشرى يا عمرو فلقد ذهبت اليوم مع جمهرة من بنى سلمة إلى بيت رسول الله ، فقال لنا : « من هو سيدكم يابنى سلمة ؟ » فقال نفر منا : « هو الجد بن قيس على بخل فيه » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « وأى داء أدوأ من البخل ، بل سيدكم الجعد الأبيض عمرو بن الجموح »

فقال رجل من إخواننا المهاجرين : صدقت يارسول الله ، لقد رأيته يوم بدر ، منقضا على الأعداء انقضاض الصقر على فريسته ؛ وكان يقبل على الموت ، إقبال الإبل العطشى على الماء القراح ، وكنت أرى فرسان قريش تفر من وجهه ، وتتقى ضرباته الشداد، حتى أصابته ضربة بتار فى رجله ، فجعل يمشى على الأخرى ، ويخوض الغمرات ببسالة وإقدام ، ورأيت من صبره ، يا رسول الله ، ما ملأ نفسى إعجابا

رأى ابنه معاذا فى إبان المعركة ، وقد أصابته ضربة على عاتقه طرحت يده ، فتعلقت بجلدة من جسمه حتى آذته ، وأجهده القتال، فقال له بصوت فيه حنان الأب وشجاعة المؤمن :« يامعاذ ضع قدمك على يدك ثم تمطى حتى تطرحها ، ودونك بعد هذا أعداء الله ... »

ولم يكد الرجل يتم حديثه ، حتى رأيت البشر يملأ وجه الرسول ، ويتلو قوله تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا ومايلقاها إلا ذو حظ عظيم) فهنيئا لك يا عمرو !!

وسمع عمرو حديث صاحبه عبد الله بقلب يفيض فرحا ، ويرقص طربا ثم قال : حسبى من الحياة — ياعبدالله — أن يرضى الله ورسوله عنى ، بعد أن حفتنى عناية السماء ، وأظلنى لواء محمد

— ٤ —

كانت الشمس قد أرسلت تباشيرها ، ونشرت خيوطها

الذهبية على مشارف المدينة ، وهضاب أحد ، حين سمع « عمرو » جلبة وتكبيرا ، وإذا مناد يقول : الصلاة جامعة ! حى على الجهاد ، فدعا زوجه « هندا » وأمرها أن تعد له سلاحه ، وأن تصاحبه إلى المعركة ، لتضميد الجرحى ، وإثارة المشاعر ثم قال لهـا :

— أين أولادك يا هند ؟ !

— لقد أسرعوا إلى المسجد ياعمرو

— وهل لبسوا لأماتهم وتنكبوا سلاحهم ؟ !

لقد جهزتهم بيدى ، ووصيتهم أن يكونوا صفا واحدا وألا يفارقوا رسول الله وقلت لهم :

اعلموا — يا أبنائى — أنه لا بد لهذه الدعوة من وقود ، فكونوا أنتم وقودها ، ولا بد لها من ضحايا ، فكونوا أنتم أول ضحاياها ، واصبروا عند اللقاء ، واشتدوا على الأعداء ، واذكروا أن الجنة مثوى الشهداء الأبرار ، وأستودعكم الله

— حييت « يا هند » من أم ! ! بمثل هذا الإيمان ننتصر ، وبه تعلو راية القرآن وتنتشر ، والآن ركضا معى إلى الجنة ، إلى السعادة ، إلى الله

وفوجئ المسلمون فى المسجد بدخول الشيخ الجليل الأعرج « عمرو بن الجموح » متقلدا سيفه ، متنكبا قوسه وهو يقول : سوف نهد لهم حتى ينقلبوا على أعقابهم صاغرين ، أو يعرتوا بحد سيوفنا خاسرين

وسمع أولاد عمرو صوت أبيهم ، فأقبلوا نحوه ، وحاولوا منعه من الخروج إلى المعركة ، ولكنه راع المسلمين جميعا بإصراره على الجهاد ، قال له أبناؤه : (قد عذرك الله ولاحرج عليك! !) فحزن حزنا شديدا ، وآلى على نفسه أن يذهب ، وأتى رسول الله وكان فى جانب من المسجد، ووقف بين يديه وقال :

— يارسول الله ! إن بنى يريدون أن يحبسونى من الخروج ، فو الله إنى أريد أن أطأ بعرجتى هذه الجنة

فقال له رسول الله :

— أما أنت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك ! ..

فتطلع بعين كئيبة إلى السماء ، وقد انحدرت الدموع على خديه حتى ابتلت لحيته ثم قال بصوت تخنقه الحسرات : يارسول الله إنى أرى بعينى هاتين ، أن الشهادة منى قاب قوسين أو أدنى ، وأن أمنيتى الكبرى أن ألقى ربى ، تزملنى الدماء ، فلاتردنى خائبا ، روحى لك الفداء

وحين رأى رسول الله إلحاف عمرو فى الطلب ، ورغبته الملحة فى الجهاد ، التفت إلى بنيه وقال لهم : (لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة ...) ولم يكد يسمع قول الرسول صلى الله عليه وسلم حتى استقبل القبلة ، وقال على مسمع من الناس جميعا (اللهم ارزقنى الشهادة ، ولا تردنى خائبا إلى أهلى) وامتلأت عيناه بالدموع ، وساده صمت خاشع ، ثم نظر إلى الرسول وقال له : (يا رسول الله أرأيت إن قاتلت فى سبيل الله حتى أقتل أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة ؟) فطمأنه رسول الله وابتسم وبان السرور فى محياه، وإذا بعبد الله بن عمرو ومعه ابنه جابر يقبلان، فقال رجل من المسلمين لعمرو ، هذا صاحبك عبد الله قد أقبل فطب نفسا ، وتعانق الصديقان عناقا امتزج فيه قلبان ، وانسجمت روحان ، وقال عبد الله لابنه جابر : (ياجابر إنى أرجو أن أكون أول من يصاب، فأوصيك ببناتى خيرا)

ثم نظر إلى صديقه الحبيب عمرو وقال له بصوت يسيل رقة وعطفا ، وكأنه يودعه الوداع الأخير :

— يا عمرو أتدرى أين يكون اللقاء بعد الآن ؟ !

— أرجو أن يكون فى دار البقاء فى مقعد صـــدق عند مليك مقتدر

— ٥ —

— وثار النقع ، وصهلت الخيل ، ولمعت السيوف ، وحمى الوطيس فى أحد ، ونشب القتال ، والتحم الفريقان ، وأقبلت على رسول الله قائد المسلمين الأكبر ، كتيبة مترامية من المشركين ، قد احمرت منهم الأحداق ، وثارت فى نفوسهم الأحقاد ، فوقف «عبدالله بن عمرو» فى وجه المشركين، يفرق صفهم ، ويفل عزمهم، ويناضل عن الرسول ، وينافح عن الإسلام ، ويحطم الفرسان ،

وبجندل الشجعان، حتى صدق ظنه وأكرمه الله فكان أول شهيد فى المعركة

واستلأم الأعداء ، وأخذوا من المسلمين بالثأر ، وانتقموا شر انتقام ، فمثلوا بعبد الله الشهيد الأول فى أحد أشنع تمثيل ، جدعوا أنفه ، وقطعوا أذنه ، ولم يتركوه حتى هشموا عظمه ، وشوهوا جسمه ، ولما سجى بين يدى رسول الله أقبل ابنه جابر ، وكشف الثوب عن وجه أبيه ، ثم أكب عليه يقبله ويبكى

وسمع المسلمون من بعيد صوت امرأة نادبة ، فشقوا لها الصفوف فإذا هى « هند » تبكى أخاها ، وتوأم روحها ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها)

وانصرفت هند وصورة أخيها ماثلة أمامها ، وملائكة السماء تظله بأجنحتها ، وبشرى رسول الله تطمئن نفسها، ولكن الدموع الحزينة كانت تملأ مقلتيها، ثم وقفت واجمة فزعة ، وغامت الدنيا فى وجهها ، وأظلم الكون أمامها ، وجمدت الدموع فى عينيها ، فقد رأت ـ ويالهول ما رأت ، أبصرت زوجها « عمروا » وابنها « خلادا » مضرجين بالدماء ، وقد فاضت منهما الروح إلى السماء ، فهدها المصاب الرهيب ، وأشجاها الدم الصبيب ، وغرقت فى لجة الأسى ، وإذا بصوت الرسول الحبيب يخاطب المجاهدين فيقول (والذى نفس محمد بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره ، منهم عمرو بن الجموح) فسح هذا الصوت ما بنفسها من أشجان ، وكان بلسم جراحها ، وعزاء مصابها ، فاحتسبت مصيبتها عند ربها ، وتقدم رسول الله من الشهيد الباسل ، وكشف عن وجهه وقال له : (كأنى أنظر إليك تمشى برجلك هذه صحيحة فى الجنة)

— ٦ —

وعند الأصيل الكئيب، وقد مالت الشمس للغروب ، وأقبل الليل ينشر أمامه رداءه الأسود القاتم . كانت «هند» المفجوعة، تتوكأ على عصاها، وتجر وراءها بعيرا حملت عليه شهداءها، زوجها وأخاها وولدها ، ميممة شطر المدينة ، لتدفنهم هناك قريبا منها ، فرأتها السيدة عائشة وكانت تسقى العطاش ، فسألتها عن الخطب الذى حل بالمسلمين ، فقالت لها :

— يا أم المؤمنين ! أما رسول الله فسالم ، وكل مصيبة بعده هينة ، واتخذ الله من المؤمنين شهداء

— ومن هؤلاء على البعير ؟

— أخى عبد الله وولدى خلاد وزوجى عمرو بن الجموح

وبينما السيدة عائشة تعزيها فى شهدائها ، جاء صائح من خلفها يقول (أمر رسول الله بأن يدفن الشهداء فى موضع استشهادهم ، فاتجهت شطر أحد ، وعادت بشهدائها حتى وقفت أمام رسول الله فتلا قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقـــون) ثم نظر إلى عمرو وعبد الله وقال (كفنوا هذين المتحابين فى الدنيا فى كفن واحد ، واجعلوهما مع خلاد فى لحد واحد ، وزملوهم بجراحهم فإنى أنا الشهيد عليهم ...)

دمشق — المزة

عمر عودة الخطيب

فى بـــلاد الأحرار

للكاتب التركى الأستاذ أغا أغلو أحمد

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى الخطيب

عندما استتب الأمر لمصطفى كمال فى تركية ، وشرع فى تنفيذ إصلاحاته المظيمة ، ألف البروفيسور الكاتب التركى المعروف أغا أغلو أحمد ، وأحد زملاء أتاتورك فى الجهاد ضد الاستبداد كتابه الموسوم : (فى بلاد الأحرار) ليكون نهجا واضحا للذين يريدون الإصلاح عملا، والحرية خلقا ، ومكافحة الطغيان طبيعة ... وقد كتبه بأسلوبه البليغ الساحر فى شكل قصة شائقة خالية من الغموض والتعقيد ، يستطيع أن يفهمها بكل سهولة ويسر ، المتعلم مهما كانت ثقافته ، ويستنير ويتعظ بها قادة الحكم ومحترفو السياسة مهما كانت نزواتهم وشهواتهم

وقد خطر لى أن أنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية وأن أنشره فى شكل مقالات متسلسلة أولا ، ثم فى هيئة كتاب مستقل ثانيا

وإنى أعتقد أن الفرصة قد سنحت لإخراج هذا الكتاب القيم على أى صورة ... فثمة طاغ جبار يطرد من أرض الكنانة إلى غير عودة ... وقائد بار شجاع يتولى قيادة الأمة المصرية إلى حيث الشرف والعزة والكرامة والعدل . . وشعب أبى متحرر أنقذ نفسه بنفسه من عهد فاجر جائر ، يريد سلوك خير الطرق وأفضلها للوصول إلى أهدافه ومثله العليا . . أفلا يجب أن يكون لكتاب (فى بلاد الأحرار) مكان على صفحات الرسالة الزاهرة لينير الطريق ، ويرشد الضال، ويوقظ الهمم ، ويضع الأسس، ويصف الداء ثم الدواء

أ . م . الخطيب

كنت أسيراً فشئت أن أكون حرا

كنت أسيراً ، فشئت أن أكون حرا ، حطمت سلاسلى ، وثقبت جدار الحصن . . فنفذت إلى الأرض الفضاء . . وهناك تنفست الصعداء

امتد أمامى براح شاسع .. ولم أكن عارفا إلى أين أتجه ؟ ولا ماذا أعمل ؟

خطوت بضع خطوات وأنا متردد محجم .. فوجدتنى على مفرق طريقين .. فقرأت هذه الكتابة القائمة على رأس عمود هنا :

الطريق المؤدى إلى اليسار طريق الحرية

الطريق المؤدى إلى اليمين طريق العبودية

التزمت جانب اليسار ، وسرت على قدمى حتى الصباح..وعند انبثاق الفجر وجدت نفسى أمام قلعة..وهناك قرأت لوحا كتبت عليه بأحرف ذهبية هذه العبارة :

« بـــلاد الأحرار »

قلت : هذه ضالتى التى نشدتها ثم هممت بالدخول . . فقطع الحراس السبيل .. وسألونى :

— من أنت ؟ .. ومن أين قدمت ؟ .. وإلى أين تقصد ؟

فقلت :

— كنت أسيراً .. فحطمت سلاسلى وحضرت هنا..أريد أن أكون حرا ..

رمقنى الحراس بنظرات الفحص والتأمل . . كانت آثار السلاسل فى عنقى ، ومعالم القيود فى يدى ظاهرة جلية

— أجل !..يلوح لنا أنك قد حطمت قيود الأسر.. ولكن يا ترى .. هل اقتلعت قيودك الباطنية أيضا ، وقذفت بها ؟

قلت :

— لم أفهم ماذا عنيتم !

— إذن أجب عن هذه الأسئلة :

١ — هل أنت مسيطر على نفسك ؟

٢ — أتحب الصدق ؟

٣ — أتستطيع تحمل الحقيقة ؟

٤ — هل أنت ذو كبرياء ؟

اتضح لى أنهم يمتحنوننى قبل إفراجهم عن الطريق لدخولى فأجبت عن كل هذه الأسئلة (نعم)

انحنى الحراس أمامى احتراما لى ، وفتحوا لى باب القلعة ثم رافقنى أحدهم إلى الداخل

كانت المدينة قد استيقظت ، والحوانيت والأسواق قد نشطت

وكان الجميع دائبين فى أعمالهم

إنها أول مرة فى حياتى ، كنت أرى فيها مدينة جميلة عليها سيما العمران كهذه .. فالسعادة والهناء تقرأها فى وجوه الأهلين أينما حللت ، وحيثما ذهبت .. وكان الذين يلقوننا فى الطرق يبتسمون فى وجوهنا ويهشون لنا ويرتاحون

وأخيرا انتهى بنا المطاف عندما وقفنا أمام باب دار كبيرة طرق الحارس الباب ، فجاء شيخ طاعن فى السن

قال الحارس مشيراً إلى

— وطنى جديد !

حيانى الشيخ باحترام ودعانى إلى الدخول ثم قادنى إلى غرفة فسيحة وقال :

هذا الموضع لكم بكل ما فيه وقبل أن أفيق من الذهول الذى انتابنى ، أضاف الشيخ إلى كلامه قائلا : سيحضر أساتذتنا بعد قليل لمقابلتكم .. خذوا قسطكم من الراحة الآن

وإذ غادر الشيخ الغرفة جاءنى رجل تبدو عليه أمارات الفتوة وأحضر لى طعاما وشرابا

وبعد لأى حضر الأساتذة أيضا .. وذهبوا إلى غرفة أخرى؛ وهناك سألونى من أنا ؟ ومن أين أتيت ؟ ولماذا قدمت هـــذا المكان ؟ فأجبتهم هكذا :

« .. أرومتى أصيلة .. بلادى نجيبة ، دمى طاهر نقى .. كان موطنى قديماً هضاب آسية الوسطى العالية .. ثم ثار الدم فى عروق أجدادى وهاج .. فتغلغلوا فى الشرق والغرب ، والشمال والجنوب .. واجتاحوا الممالك ، وشادوا الدول ، وأنشأوا الحضارات ...

كان زعماؤنا قبلا يعيشون عيشة ساذجة ، يشاركون الشعب فى سرائه وضرائه ؛ يحترمون العهود والمواثيق ، يطيعون الحق ومجالس الشورى .. وكانت قادة الحكم ، ورؤساء القبائل وملوك البلاد لا يخشون شيئاً فى سبيل الذود عن كرامة الحق ، وقولة الصدق ، والتنكيل بالطغاة ، ومنع الاستبداد ...

وطوال استمرار الحال على هذا المنوال كانت بلادى قوية ، مهيبة ، مرفوعة الكلمة بين الممالك .. إلى أن جاء يوم فسدت فيه دماؤنا ، وشرعنا نقلد البلاد المستعبدة فى تقاليدها ومواطن ذلها .. فتلاشت مجالس الشورى ، واختل النظام ، وانتصر الاستبداد ، وصار شعبى السيد الآمر عبداً رقيقاً ...

ومنذ ذلك الحين انطفأت نارنا الواهجة ، واضمحل صيتنا الذائع ، وتلاشى صوتنا المدوى .. حتى حل يوم أراد فيه خاقاننا السافل أن يبيعنا للأغراب .. وعندئذ بلغ السيل الزبى ، وطفحت الكأس

خرج من صفوفنا شخص ذو شعور ذهبى ، وسحنة رجلية ، ونظرة هى نظرة الأسد بعينها ...

فإذا هو الذائد عن حمى بلاده ، والضنين بوطنه ، ورسول ربه الكريم ...

قال أقوالا بعثت بالحمى الدافقة إلى القلوب الجامدة ، وبالحياة إلى العروق الميتة ، عمل أعمالا دهش منها القاصى والدانى .. طرد الأغراب من المواطن وأسقط الخاقان من عرشه .. وهو اليوم منهمك فى لم شعث أمته حول راية الحرية الخافقة ...

إننى كنت حينذاك من أسرى الخاقان فى سجنه .. وبينا أتقلب على أشواك اليأس والقنوط ، إذا أنا بصوت رجل الحق يطرق سمعى ...

دبت فى الحياة فجأة ، فحطمت سلاسلى ، وأحدثت فجوة فى الجدار ، وجئت إلى هذه الديار فى طريقى إلى الحرية التى أنشدها

أصغى إلى الأساتذة باعتناء واهتمام شديدين .. ثم قال أحدهم :

— أجل ! أجل ! إننا كذلك نعرف ذلك البطل ونحبه حبا جما ، ونحن إنما نعمل هنا وفقاً لمبادئه وفكرته ...

ثم أضاف إلى كلامه قائلا :

— هل عقدت النية على أن تكون حرا ؟

— نعم !

ساعة بين أعداد الرسالة

للأستاذ محمد الحسن شرع الدين

لانقطاع الرسالة بسبب الملاحة فى الشلال شعرت بالحاجة إلى قراءتها ، وذلك لما كنت أتوقعه من انقلاب فى أقلامها بعد الانقلاب الذى قام به البطل محمد نجيب «نجيب الحرية والدستور» وكانت تجول بخاطرى أشياء أتذوق حلاوتها وألتذ لها لاعتقادى أن أعداد الرسالة القادمة سوف تتحدث عنها ، وما تلك الخواطر إلا حوادث الانقلاب والملك المطرود ، وقد تكلمت كل الصحف والمجلات عدا الرسالة التى لم تصل إلى . ولكلام الرسالة وقع فى نفسى غير كل كلام مقروء . قلت شعرت بالحاجة للاطلاع على الرسالة ، ففزعت إلى أعدادها المودعة بمحل خاص — وأنت قد تعجب إذا قلت لك إنى أحتفظ بأعداد الرسالة من سنة ١٩٣٤ إلى يومنا هذا بصورة مستديمة — من قسم الإعارة لا التأجير ، وتناولت أول عدد فكان العدد ٩٦٢ وفتحته فكان أول ما قرأت مقال يوازن بين شوقى وولى الدين يكن فى قصيدتين قيلتا بمناسبة « سقوط السلطان عبد الحميد » بقلم أستاذنا الأديب محمد رجب البيومى ، وعلم الله أنى أرتاح لكل ما يكتبه ، وأجد فيه متعة الروح وغذاء العقل ، متعنا الله بأدبه ومد فى عمره بالعافية . فعجبت كيف هيأت الصدف للربط بين خواطرى بالماضى المقروء للحاضر المشهود ، وقلت لو كتب هذا الموضوع قبل الانقلاب بأسبوع لقلنا إن الكاتب يشير إلى نهاية (الفاروق) بالتورية للآتى القريب، ولكن مر على المقال أكثر من سنة فلا أظنه كتب لهذا الغرض رغم أنه كان ينفع للعظة لو وجد من يتعظ . وجال بخاطرى فقلت لئن وجد عبد الحميد من يندب مجده بعده ، وآخر يشمت به ويشيع عهده باللعنات ، بتلك القوة المتعة فى الوصف البارع للمدح والذم ، ووجد مثل قلم البيومى ليوازن بينهما ، فهل نجد اليوم مثل هذين الشاعرين وقد وجدنا الظرف

ولا نريد بعد أن أشرنا إلى العدد أن نأتى بشىء من القصيدتين، فمن أراد المتعة فليرجع إليهما فإنهما أنسب ما يقرأ فى هذا الظرف وهذه المناسبة

وبعد الفراغ من هذا العدد مددت يدى فأخذت عدداً آخر فإذا هو العدد ٧٤٨ بقلم صاحب الرسالة فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٤٧ بعنوان : « يا أغنياءنا ! قولوا أسلمنا ولا تقولوا آمنا » ، وقد علق به على حديث نشرته الأهرام لصاحب السمو الملكى الأمير محمد على قال فيه :

« إنى أشهد الله على أن كل توفيق أصبته وكل خير نلته منذ نشأتى إلى اليوم كان مرجعه إلى اتمارى بأوامر الدين وانتهائى بنواهيه »

وقد علق على هذا الكلام فقال : « جميل من سمو الأمير أن يعتقد الدين وأن يعمل به ويتعصب له ويدعو إليه فى وقت نسى الناس فيه الله . فعبد الأمراء الشهوة — وكأنه يعنى القصر — وأله الأغنياء المال ، واتبع الزعماء الهوى » ثم يقول بعد فصل : «لماذا اقتصر أمير الأمراء من فضائل الإسلام على «المحبة والسلام ، والصلاة والصيام ، والعمل والصبر والطهارة . وقد كنا نطمع فى صدق إيمانه وسمو بيانه أن يذكر كذلك الزكاة والإحسان والبر والتعاون ليعلم أولئك الأمراء الذين أسلموا ولم يؤمنوا، وهؤلاء الأغنياء الذين أساءوا ولم يحسنوا» ويسترسل فيقول : « إن الدين

— هل فكرت فى الأمر جيداً ! .. أعزمت على ذلك عزماً نهائيا ؟ .. ثم هل تعلم مبلغ صعوبة الحرية على الإنسان ؟

أجل !. أعرف كل ذلك ، وعزى فى هذا الشأن لا يتزحزح !

— إذن ثمة شروط يجب أن تطلع عليها، وتعمل بمقتضاها .. وهذه الشروط مدرجة فى سفر خاص بها . . اقرأ وفكر مليا . . وسنأتى لمقابلتك ثانية بعد بضعة أيام ..

ثم غادر الأساتذة المكان ..

يتبع

أحمد مصطفى الخطيب

٣٩٠٢٠

عمل ومعاملة ، وتثقيف وتكليف ، وإيثار وتضحية . ثم يقول بعد فصل : : وحق الله الذى يشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويداوى المريض ، ويكفن الميت، ضئيل بجانب حق الشيطان الذى يولم الولائم الفاجرة ، ويقيم السهرات الداعرة، ويجود على إنجلترة الخؤون من غير طلب، وينفق على تركية العقوق من غير حساب» ثم يقول : «ولكن حق الله على ضآلته ثقيل لأنه ينفق على العامل والفلاح ، وحق الشيطان على ضخامته خفيف لأنه ينفق فى الميسر والراح» ثم يسترسل فيقول : «إن أكثر الكبراء عقام أو عزاب ، فلا عيال يكلفون فى الحياة ، ولا أعقاب يرثون بعد الموت ؛ فليت شعرى لم لا يتبنون هذا الشعب الكريم وهو الذى وضعهم فى ركب الحياة على كاهله ، فأقدامه تحفى من الكلال وهم فى دعة ، وجسمه يعنوى من القلال وهم فى سعة ، ونفسه تضطرب من الأهوال وهم فى أمن » ثم يقول « إنهم إلا يفعلوا يندموا ، فإن من الشكوك فيه أن يتسع حلم الشعب طويلا لهذا التفريط فى جنبه » وعندما وصلت لهذا الحد من المقال عجبت ! ولا عجب أن يصاحب التوفيق قلم أستاذنا ، فيشير لهذه النهاية البعيدة حينذاك ، ولكن زال عجبى عندما رجعت لقول ولى الدين يكن للسلطان عبد الحميد فى قصيدته التى أسلفت القول عنها عندما قال :

عزاء أيها النائى الرعايا ... ولا تجزع فخالقكم نفاكا
حرمت كراك أعواما طوالا ... وليتك بعدذا تلقى كراكا
تفارقك السعادة لا لعود ... وقدعاشت خطاهافى خطاكا
فدع صرحا أقمت به زمانا ... وقل ياقصرلست لمن بناكا
نعم عبد الحميد انعب زمانا ... تولى ليس يحمده سواكا

ومنها :

ستحيا فى سلانيك زمانا ... ستحسد فيه عن بعدأخاكا
وتعلم أن ملكا ترتضيه ... ولعت بهولكن ماارتضاكا

أما قصيدته الثانية التى جارى بها شوقى ، فلا يتسع المقام لسياقها ، فلنتركها وليرجع اليها من يريدها بالعدد المذكور أو فى غيره

وعجبت أن يحقق الشعب ما أشار إليه أستاذنا ؛ فيطرد المليك الجبار .. المليك الذى أراد أن يجعل من مصر وجيش مصر أضحوكة بين الشعوب . المليك الذى نحى بشباب مصر فى حرب فلسطين ، وكان يستعرض الجيش ابتهاجا بولده فى الوقت الذى يقتحم فيه البوليس الموت مع الإنجليز فى قنال السويس ، ويشد أزر كفاح البوليس أولئك الأبرار المجاهدين من الفدائيين . لقد حقق الله نبوءتك يا أستاذى ، فهاهوذا الجبار قد ذل وطرد ، وهاهم مانعو الزكاة ومبددو ثروات الشعب المصرى يحاسبون حسابا عسيرا ، فلننتظر قليلا ولنقل : حيا الله المخلصين من أبناء مصر ، وأزال بهم طغيان كل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، ولنقل مع الشاعر أيضا :

إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ... ولابد للقيد أن ينكسر

محمد الحسن شرع الدين
تاجر بأم روابة

شيلر الشاعر الألمانى

للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف

حياته

هو فريدريك فون شيلر ولد فى مدينة مارباخ من أعمال مقاطعة ورتمبرغ الجرمانية فى ١٠ ت ٢ سنة ١٨٥٩ . وكان أبوه يوهان كاسبار جراحاً مساعداً فى الجيش استخدم فى حرب أوستريا الارثية . وكانت والدته تقية حنوناً فرست فيه تلك المبادئ . واسمها اليصابات كورفايس . كان منذ صغره ولوعا بالكتب ، وفى المدرسة كان ينفرد ويطالع ، فيجد تلك الساعات من ألذ أيام حياته ، وكان يهيم فى الطبيعة ويسرح فى آفاق الخيال وراء شاعريته التى كانت نفسه تنزع إليها

وكان نحيف الجسم مجتهداً كثير المطالعة تنزع نفسه إلى نظم الشعر ، ولذلك جمع بين الإنشاء الطلى والشعر الرقيق والتاريخ الوطنى ، فكان ثانى غوته أشهر شعراء ألمانيا

ترك آثاراً تشهد بنبوغه وتفوقه ، وكان أصغر من زميله ومعاصره غوته بعشر سنوات ، تعارفا لما كان شيلر فى الرابعة والثلاثين من عمره وغوته فى الرابعة والأربعين

انصب شيلر على مطالعة أشعار هوميروس اليونانى وفيرجيل الرومانى لإتقانه اللغتين اليونانية واللاتينية كل الإتقان

ثم طالع منظومات « كلوبستوك » شاعر ألمانيا العظيم وغيره من كبار الشعراء ، مما بث فيه روح الشاعرية وقواها

وكان قد درس على علماء عصره المشهورين ونال شهادته بإتمام دروسه سنة ١٧٧٩ بحفلة حافلة شهدها غوته الشاعر الألمانى الآنف الذكر . ولم يكن غوته يظن أن شيلر سيكون نابغة فى عصره وصديقاً مخلصاً له ، ورجلا محبا لوطنه وشعبه ، ومؤثرا عظيما فى رقى بلاده . ولم يكن غوته ليظن بأن شيلر سيصبح كاتباً مدققاً وشاعرا بليغا ومؤرخا ثقة ، صاحب مخيلة واسعة ، طلى الإنشاء ، حتى يحبه الشعب ويحترمه

وكان لما حل شيلر بقرية فولكشتات سنة ١٧٨٨ أن اجتمع بغوته مرة فاستقبله هذا غير مكترث له فأثر ذلك المشهد الاحتقارى فى نفس شيلر وحركته عزة نفسه أن كتب إلى صديق له يخبره بعدم تناسب الذوقين أى ذوقه وذوق غوته ، لأن لكل منهما وجهة يتجه لها الواحد دون الآخر

على أن غوته بعد أن طالع آثار شيلر ، ولاسيما قصيدتيه الشهيرتين « المتفننين » و « آلهة اليونان » ، اللتين نسج بردتيهما إذ ذاك نسجا بليغا ، انقلب عن الإعراض إلى الحفاوة والاحترام ، فصار ودهما وثيق العرى متين الأسباب

فكان شيلر ينظر إلى الحياة نظرات فلسفية وينظم الشعر التمثيلى ، وغوته يسبح فى عالم الطبيعة ويصوره ناظما الشعر الحقيقى ، ومع ذلك لم يكن هذا التباين فى الذوقين بمانع من اتفاق آرائهما بالصداقة وتبادل الحب الصحيح بينهما بإخلاص وأمانة حتى آخر نسمة من حياتهما . وذلك نادر بين صاحبى صناعة واحدة . ولكن الشاعرية التى عرفا بها لم تستطع أن تبث روح الحسد فى أحدهما ليعادى الآخر

فصرف شيلر أوقاته مع غوته يتبادلان الآراء ويتجالسان ويتحاوران فانتفع كل منهما من زميله . وهكذا أخرج شيلر آثارا نفيسة فى الشعر والتاريخ والروايات التمثيلية الكثيرة ، وهى مما لا تزال تتناقلها الألسنة والأقلام ، وتترجم إلى اللغات المختلفة الغربية والشرقية

ومن غرائب الاتفاق أن هذين الشاعرين المتحابين مرضا كلاهما بوقت واحد وخشى كل منهما موت الآخر . ولكن شيلر قبض إلى رحمة ربه قبل غوته وذلك فى أيار سنة ١٨٠٥ فبلغ نعيه غوته فبكاه واشتد حزنه عليه وقال كلمة لا تزال مضرب المثل

لقد فقدت بموت شيلر نصف حياتى

ولشدة حزنه انقطع مدة عن عمله وتفرغ للبكاء ومعاناة الأسف الشديد الذى ألم به . وطال ذلك العهد على غوته حتى توفى سنة ١٨٣٢ وأقيم له سنة ١٩٣٢ تذكار مرور مائة سنة على وفاته بحفلات شائقة ، وسنة ١٩٣٤ أقيم له تذكار مرور ١٧٥ سنة على ولادته . وكتبت الجرائد مقالات شائقة عن الحفلتين فى الشرق والغرب . ونشر كثير منها ترجمة حياته وأعماله . وحضر تلك الحفلة كبار رجال الحكومة . وأقاموا الصلاة على قبره . وخطب

الهر جبيلز فقال : « لو عاش شيلر ، إلى اليوم لكان زعيم ثورتنا حرفيا . فنحن نحنى رؤوسنا أمام ذلك الميراث الفنى الذى هو لنا ، لأن لنا وحدنا القدرة وروح الابتكار لإنجاز رسالة تلك الثورة »

وأنشأت صحف اليونان مقالات أطرت فيها على ذكر شيلر، ومثلت فى المسرح اليونانى الوطـــنى رواية (دون كارلوس) من نظمه

آثاره

اشتغل هذا الشاعر بالأدب والتاريخ والروايات ، فترك آثاراً ذات شأن فى نظر العلم والأدب من روايات تمثيلية وقصائد رائعة، فأخرج شيلر الدراما « قطاع الطرق أو اللصوص » طبعت سنة ١٧٨١ و« المؤامرة والحب » . ومن أهم رواياته « دون كارلوس » (١٧٨٦) . وبها اشتهر أول ما اشتهر . وآخرها « وليم تل » التى كتبها سنة ١٨٠٤ ومدارها على أخبار وليم تل البطل السويسرى الوطنى . وكان غوته قد سافر إلى سويسرا ودرس جميع الشؤون المتعلقة بهذه الرواية على أمل أن ينسج بردتها بقلمه العسال. فحالت دون ذلك عوائق حملته على انتداب حميمه شيلر لهذا العمل فأعطاه دروسه كلها ، فنظمها وأجاد فيها ما شاءت بلاغته . ولما وقف عليها غوته دهش منه وازداد تعلقاً به واحتراما له فعاشا على حد قول الشاعر :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتنى أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا

ومودة الأدب إذا كانت بإخلاص نية وعدم حسد وتنابز كانت آية الآيات فى حسن السلوك وأدب المعاشرة

فكانت هذه الرواية « بوق الحرية الشريف » وآخر رواياته من بدائع قصائده ؛ « آلهة اليونان » ، و«مارى ستوارت»، و« عذراء أورليان » ، و « عروس مسينا » . وفى مقدمتها يقول « ليس موضوع العلم أن يثير حلم الحرية لحظة . ولكن قصده أن يجعلنا أحراراً بالحقيقة » . و « المتفننون » ، « والقتال » ، ونشيد «فالنشتاين» (١٧٩٩)

ومن مآسيه المشهورة « دون كارلوس » و «وليم تل». ومما قاله فى مقطوعة عن وليم تل : « نحن نستنشق الهواء الجبلى للحرية ونطأ جبال الألب بحرية شخصية ونشعر برعدة »

ومن مشهورات تواريخه : « تاريخ ثورة هولندا » و«الحرب الثلاثينية » وهو كتاب تاريخ ممتاز

وكان شيلر صحافيا اشتغل بمجلات أنشأها هو أوساعد غيره بكتابة مقالاتها

وعلى الجملة كان شيلر فيلسوفا ومتفننا ومؤرخا وشاعراً وصحافيا

شيء من آرائه وأقواله

تناقل الكتاب والشعراء كثيرا من آراء هذا الشاعر وأقواله مترجما إلى لغاتهم ومنها لغتنا العربية

قال فى وصف فتاة : « أنت فى السادسة عشرة إذ يبتدئ فؤادك أن يخفق لأول مرة بعواطف الحب ويردد صدى نغماته . إن الفتيات أمثالك لهن دائما مرآتان : المرآة الحقيقية ومرآة المعجب بجمالهن . فتصلح الثانية بتمويهها ما تفسده الأولى بصدقها . فإذا أرتك المرآة آثر الجدرى يقول المعجب الأعمى : تلك غاية الجمال.»

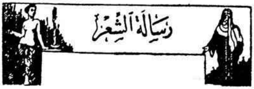
وقال يصف شابا : « كنت سالكا سبيلا قويما ولكن تخلى عنى أقرانى وأضلونى الطريق إذ انفصلوا عنى واحدا واحدا »

وقال فى تأثير المرأة : « كلما وجد رجل وصل بعمل إلى غايات المجد وجدت فى جانبه امرأة محبوبة »

ومن أعظم قصائده « لحن الجرس » خاطب به رأسا قلوب الجماعات بقوله : « أنا أدعو الأحياء وأنا أنوح على الموتى وأنا أكسر اللمعان » . فهى أشبه بقصيدة لنفلو الشاعر الأميركى «بناء السفينة » . وقد عربنا معظم ديوان الشاعر الأميركى

ومن قوله فى قصيدة القتال : « لا . لا . لن أصبر طويلا على هذا القتال الطاحن الذى يقوم به الواجب . فإذا لم تقدرى على كبح أهواء قلبى أيتها الفضيلة فلا تطلبى منى التضحية . فيا كليلك هذا يجب أن يبقى كل الأيام بعيدا عنى . خذيه ودعينى وحدى أتلاشى »

عيسى اسكندر المعلوف



أنا والحياة

للأستاذ حسين عبد الفتاح سويفى

أى شئ يا حياتى فيك يدعو للحياة ؟
كل شئ فيك يهتاج بكائى وشكاتى
مل جفنى من دموعى وشكا من عبراتى
كل شئ فى حياتى غارق فى الظلمات
السنا الوضاء معنى لم يلح فى خطراتى
أى شئ يا حياتى فيك يدعو للحياة ؟!

* * *

هذه النار التى تسرى بروحى ودمائى
والأعاصير التى قد عكرت صفو هنائى
والأحاسيس التى تعشق دمعى وبكائى
والتعلات التى كانت عزائى ورجائى
والأمانى التى لم تغنني أى غناء
كلها مجتمعات عجلت يوم فنائى

* * *

من أنا فى هذه الدنيا ؟ أنا طير غريب
ضل فى البيد فلا مأوى ولا عش قريب
بين جنبى جراح ليس يشفيها طبيب
وفؤاد ظامئ اللهفة موصول الوجيب
لم أجد فى الكون قلبا عاطفا بين القلوب
لهف نفسى لحبيب مخلص — أى حبيب

* * *

ظامئ الروح ولكن أين كأسى وشرابى ؟
أين آمالى . وأوهامى . وأحلام شبابى ؟
أين حلو الصفو ما بين رفاق وصحاب ؟
أين ما أملت من تلك الأمانى العذاب ؟
لم أنل غير عنائى وشقائى وعذابى
واجترارى الليل يمضى بين سهد وانتحاب

* * *

ها هى الآلام تدعونى فعذرا يا رفاق
هل رأيتم كيف يسقينى من الآلام ساق ؟
هل رأيتم كشرابى ؟ إنه مر المذاق
من مزيج اليأس والحرمان والدمع المراق
وسعار اللهفة الظمآى ونيران المآقى
أيها الآلام كفى بلغت روحى التراق

* * *

من أنا فى هذه الدنيا ؟ أنا العانى الشريد
أنا من قد مل طول العيش فى هذا الوجود
أنا من قد عاش فى الأسر وفى ظل القيود
أنا من قد عاف طعم الذل فى أرض العبيد
ثائر النفس على كل قديم وجديد
إننى أجهل نفسى . لست أدرى ما أريد ؟!

* * *

فاضت الكأس فخلونى أبث الطرس وجدى
لم يعد ينفع صبرى . لا . ولا يغنى التحدى
قد قطعت العمر والأيام فى أخذ ورد
وطموح فى الأمانى لانهيار وترد
وشكاة من حياتى وزمانى المستبد
مل من شجوى صحابى وحملت الهم وحدى

* * *

يا ربيع العمر ماذا فيك من روح الربيع ؟
هذه شمس حياتى قد خبت قبل الطلوع
يحجب الأنوار عن عينى سحاب من دموعى
ودخان من قنوط ثائر بين ضلوعى
كلما أوقدت شمعى أطفأ الدهر شموعى
يا ربيع العمر كم ذا فيك من يأس مريع

* * *

هل رأيتم مثل صبرى فى الورى صبرا عجيبا
أكتم الأشجان فى نفسى وأخفيها ضروبا
ثم أبدو بين صحبى مرحا طلقا طروبا
أمسك القلب على الوجد وأخشى أن يذوبا
وأدارى اللوعة الكبرى ولا أشكو لنوبا
إن أكن أذنبت ياربى فهل لى أن أتوبا

حسين عبد الفتاح سويفى

العائدون من الحرب

للشاعر الشاب محمد مفتاح الفيتورى

(مهداه إلى القائد الأعظم اللواء محمد نجيب)

لقد عدنا .. أجل عدنا من الحرب ميامينا
على أعناقنا قد عبأوا النصر ورياحينا..
ومن أفواهنا قـــد جسموا المجد أرانينا
لقد عدنا ولكن لا كما شاءت أمانينا
ألا ياليتنا متنا بعيداً عن أراضينا ..!

***

لقد عدنا من الحرب .. إلى الحقل إلى المصنع
لكى نحرث .. أو نبذر .. أو نحصد .. أو نجمع
لكى نبنى للغير .. لكى نطهو ولا نشبع
لكى نحلم بالفجر الذى من يدنا يسطع !
لكى نصنع حربا ضخمة أخرى .. لكى نصنع

***

لقد عدنا إلى الأكواخ .. أكواخ أهالينا
وكنا قد كسوناها بأسمال أمانينا
فماذا أبصرت أعيننا غير مآسينا
وغير الطلل الموجع نبكيه ويبكينا
وإن لج بنا الشوق لمسناه بأيدينا

***

لقد عدنا .. ألا تبصرنا .. تبصر بلوانا
بقايا آدميين مساكين .. بقايانا
نجرجر خلفنا التاريخ أشلاء وأكفانا
ألا ليت الذى رقمنا بالموت أبلانا
ولم يبق لنا كالناس أشواقا ووجدانا

***

لقد عدنا .. أجل عدنا ولكن عودة المقهور
شربنا عرق الحرب .. أكلنا صدأ التنور
لبسنا كفن الثلج .. سكنا جدث الديجور
وها عدنا إلى القيد .. إلى قيد الأسى المضفور
فياضيعة هذا العمر .. هذا الصدف المكسور

***

وقالوا .. قال رب السوط والقانون والقوه
سأمضى قبلكم .. إنى لكم .. لقطيعكم قدوه
ولكنا مضينا وحدنا نحتضن الهوه !
وظل السيد المعبود فى رقدته الحلوه !
وكانت كأسنا الموت .. وكانت كأسه الشهوه

***

فماذا يبتغى الجلاد .. ماذا يبتغى منا !
لقد سرنا كما شاء .. وعدنا لا كما شئنا
هدمنا وتهدمنا .. وعذبنا وعذبنا
وكم حلم سحقناه .. وكم مقبرة شدنا
وكم من مرة متنا .. وكم من مرة عشنا

***

فلا بارك هذى اليد .. لا باركها الرحمن
إذا لم تسق بالحب صدى الحيران
إذا لم تك فأسا فى جدار البؤس والطغيان
إذا لم تك ميزانا لروحانية الإنسان
إذا عاشت لغير النور والرحمة والإيمان

محمد مفتاح الفيتورى

خطاب مفتوح

إلى الأستاذ محمد فتحى مستشار الإذاعة

من الأستاذ على متولى صلاح

يا أخى الأستاذ

الآن وقد عاد إليك مكانك الطبيعى فى الإذاعة التى اقترنت باسمك منذ مولدها ، واقترنت أنت بها منذ مطلع شبابك وباكورة عملك فى الحياة .. والآن وقد عاد إليك مكان المشورة والرأى والتوجيه فى الإذاعة ، وقد صارت مؤسسة ذات خطر فى الدولة وذات أثر فى الناس ، وأصبحت عاملا هاما فى التثقيف والتهذيب والمعرفة الصحيحة . .

والآن وقد عاد إليك مكانك هذا فى عهد جديد سعيد كأنما انشقت عنه السماء ليكون برزخا فاصلا بين النقيضين : الرذيلة والفضيلة ، وليكون تغييراً لمعالم الحياة فى مصر ، وليكون قبرا أخيرا للفساد والظلم والطغيان والاستعباد وما إلى ذلك مما تردت فيه البلاد حقبة ليتها لم تكن فى تاريخها !

الآن وقد عاد إليك مكانك هذا فى عهد كهذا ، فإن على كاهلك ليقع عبء كبير ثقيل لا ينهض به إلا أولو العزم من الرجال ، وإنى أعيذك أن تحسب الأمر هينا سهلا ، فإنك — إن ترد الإصلاح حقا — لتنفق من ذات نفسك وجهدك الشئ الكثير

إن الإذاعة — حتى اليوم — مهزلة كبرى وفضيحة لمصر ليس وراءها فضيحة ، وكأنما تنفق الدولة ما تنفقه على هذه الإذاعة ابتغاء التشهير بها والنيل من كرامتها وقدرها أمام العالم أجمع ، فهذا العبث الذى ترسله الإذاعة ، وهذا التخنث الذى يشيع فى الأغلب الأعم من أغانيها من أمثال قولهم « ما قالى وقلت له ، وجالى ورحت له ، يا عواذل فلفلوا » وسواه مما لا أذكره احتراماً لقلمى أن يخطه ويتلوث بذكره ، إنما هو فضيحة ليس وراءها فضيحة . . وهذا النفاق الذى يتدفق من شعراء الإذاعة وكتابها ، هؤلاء الذين كانت تجرهم الإذاعة كالثيران البدينة ليلقوا على الناس عقود المديح والثناء والإطراء فى الطغيان والعسف والظلم والاستبداد ، هؤلاء المنافقون الدجالون عليك إبعادهم ونفيهم وكتم أنفاسهم ، وتطهير الإذاعة منهم فإنهم رجس يجب ألا يعيش فى هذه الأيام ..

إن عليك يا أخى أن تمحو من الأغانى والأناشيد والأحاديث كل ما يضعف الرجولة ويشيع الوهن والضعف والاستخذاء فى النفوس . أمح من الإذاعة بجرة قلم جميع هذه الأغانى المخنثة المائعة التى يغنيها الرجال والنساء على السواء ! يغنيها المفنون — يا أخى — بأصواتهم الغليظة فيجملونها بالتأوه والتموج وإرسال الزفرات الحارة والتنهدات المتسعرة ! أمح هذا العار الذى يحيل هؤلاء الرجال إلى إناث بعيدى الأنوثة ينافسون الإناث فيما اختصهن به الله !

إن عليك يا أخى أن تمحو باب الارتزاق — لمجرد الارتزاق — أمام كل من هب ودب من هؤلاء الذين يسقطون على الإذاعة وكأنها تكية السلطان ! هؤلاء الذين يقدمون إلى الإذاعة أى كلام وأى أغان وأى مسرحيات ، ثم يضمنون إذاعتها دون مراجعة ودون اعتراض ، معتمدين على مالهم فى الإذاعة من صلات وقرابات !

إن عليك ألا تكل إلى أحد من رجال الإذاعة ما لا يفهم ! فإن الناس ليعجبون كيف ينهض بالأمر فى الإذاعة من لا يحسنه؟ وكيف يسند إليه من الأعمال ما لا يؤهله له علم أو فهم ؟ أعط القوس باريها ، ولا تعهد بعمل إلى رجل إلا إذا سبقت له به دربة كافية ودراية طويلة ، ولا تقم وزنا لهذا الذى جاء به الوزير الفلانى والكبير العلانى، فإن هذه دولة قددالت ويجب ألا يكون لها وزن فى حياتنا الراهنة .. وإن الإذاعة — كما يعرف الناس جميعا موبوءة مشحونة بمن جلبتهم الشفاعات والوساطات ممن لا يحسنون عملا ولا تدعو إليهم ضرورة !

هذه خطوط رئيسية جدا أنت أدرى الناس بها وبأكثر منها ، فعليك أن تأخذ الأمر بالحزم والصرامة ، وأنت تعلم ما الإذاعة وما خطرها وما أثرها فى توجيه الدولة فى الداخل وحسن سمعتها فى الخارج ؛ وأنت بعد اليوم مسؤول عن كل كلمة نسمعها فى الإذاعة ، فإن أحسنت وغيرت أيدناك ، وإلا خذلناك وما نراك إلا محسنا إن شاء الله

على متولى صلاح



الزعيم أحمد عرابى

الأستاذ عبد الرحمن الرافعى

للأستاذ محمود عبد المنعم محرم

الأستاذ عبد الرحمن الرافعى هو مؤرخ التاريخ المصرى الحديث، وكتبه التى أخرجها هى فى دقتها وصدقها مثال رائع لما يجب أن يقوم به المؤرخ المنصف . وكتابه الذى بين يدى الآن « الزعيم أحمد عرابى » انتهى الأستاذ الرافعى من كتابته فى يناير مفتتح هذا العام . وكان مقدراً لهذا الكتاب أن يرى النور فى مارس من العام الحالى ، غير أن الطغيان والظلم جالادون ذلك ، فبقى الكتاب حبيسا حتى خلى سبيله أخيرا يحمل الدعوة إلى التضحية والدعوة الإصلاحية إلى أبناء الوطن

ومن تصاريف القدر أن الزعيم أحمد عرابى ظلم ظلما متواترا أثناء حياته وبعد مماته . وهذا الذى وقع لسيرته الرافعية ما هو إلا حلقة من سلسلة الاضطهادات المادية والمعنوية التى أصيب بها بطلنا الكبير . ولئن كان الأولون الذين ظلموه قد اتخذوا باطن الثرى مضاجع لهم ، فإن هؤلاء الذين وقع ظلمهم عليه الآن ، قد خرجوا من الديار يجوبون الآفاق طريدى العدالة والحرية والإنصاف، وراحوا مشيعين بما فعلوا من سوء وما قدموا من بغى وخذلان

وأحمد عرابى زعيم فلاح نشأ فى القرية ، ودرس فى الأزهر فترة وجيزة . وكتب عليه أن يترقى فى مناصب الجندية من أبسطها إلى أعلاها حتى كان زعيم مصر فى عهد من أحلك العهود التى مرت بيلادنا العزيزة . وكانت نهاية هذا البطل المخلص ، أن ائتلفت ضده قوى الاستخذاء والاستعمار والأنانية والطغيان ، وحاربته فى ميدانه الوطنى ، وأخرجته من وطنه الحبيب وبلاده التى جاهد لها

وإن العدالة الإلهية تقتص لهذا الوطن البائس ، ولأبنائه الفلاحين الفقراء العراة ولجنوده المظلومين من الطواغيت المستبدة التى أخذت عليه مسالك الحرية والأمن والصعود إلى مصاف الدول القوية والشعوب المستنيرة . وغير خفى أن أحمد عرابى هب يطالب بحقوق الوطن وأبنائه، فى عهد الخديو توفيق ، الذى كان يمثل العقلية التركية القذرة بكل غرورها الغبى وزهوها المخبول . وكانت الخاتمة أن يطرد ابن الوطن البار من بلاده ، ويبقى الدخـــلاء المترفون ، يتمتعون بالخيرات والنعم التى يلتهمونها من أفواه المساكين . ثم على تعاقب الأيام ، قام بطل جديد ينادى بحق الشعب مرة أخرى وكانت النتيجة ، أو بعض النتيجة ، أن ثبت الحق على يد أربابه وفى قلوب المؤمنين به ، وطرد الغشوم الذى أساء إلى نفسه وأبعد فى التنكيل بها ، وراح ينسل بنفسية الآبق وشذوذ المتغطرس

وإن ثمة وجوه شبه بين الثورتين ، ثورة أحمد عرابى ، وثورة محمد نجيب . من وجوه الشبه هذه المطالبة بحقوق الشعب . ومنها أن الثورة وجهت أول ما وجهت إلى الجالس على العرش الذى يمثل الظلم الصارخ والكبرياء الحقير . ومنها أن قائدى الثورتين من أبناء القرى . ومنها الاعتماد على العنصر الدينى والإنابة إلى الله . ومنها أن القائمين بها من رجال الجيش . وغير ذلك من العوامل السياسية الأخرى التى تكاد تكون واحدة فى مغزاها على عهد الثورتين كلتيهما

وحرب فلسطين ليست بعيدة عنا بآثارها ونتائجها . ولعلك سمعت ما قيل حولها من خيانة وائتمار بالجيش ، ومحاربة للشجعان المخلصين من أبنائه ، وتقريب للذين كانوا سبب الهزيمة وعوامل الاندحار ، مع جهلهم أو فسادهم أو خيانتهم، وهذا يشبه ما حدث فى عهد إسماعيل . وهو قريب مما حدث على عهد توفيق أيضا « ولامراء فى أن إسماعيل كان يميز الضباط والرؤساء الشراكسة والترك على الوطنيين فى المعاملة ، برغم ما بدا منهم من العجز والجهل وعدم الكفاية ، مما ظهر أثره جليا فى الهزائم التى حاقت بالجيش سنة ١٨٧٥ — ١٨٧٦ فى حرب الحبشة . وعلى ما كان لهذه الهزائم من أسوإ الأثر ، فإن إسماعيل لم يحاسب أولئك القواد والضباط على ماوقع منهم من الإهمال والتقصير ، وقيل إنه اعتزم

محاكة راتب باشا قائد هذه الحملة، ولكنه مالبث أن رجل عن ذلك فقربه إليه وجعله من بطانته . وهذا يدلك على شديد ميله إلى تلك الفئة . فكانت لها الحظوة لديه ثم لدى الخديو توفيق »

وإن الحكم النيابي قد عطل فى عهدنا هذا . وكان الملك يستبد بالأمر، ولم يكد يدع للوزراء حرية يتصرفون بمقتضاها . حتى كان يولى من يشاء ويعزل من يشاء تبعا لأهوائه ونزواته . وهذا مثل ماحدث فى عهد الخديو توفيق . فقد كان هو الآخر يستبد بالأمر ويعلى إرادته على وزرائه . وإلا عمل على إعفائهم من الحكم « وبينما كانت الطبقة المثقفة ترتقب إعلان الدستور على يد الخديو توفيق ؛ إذا بهم يرون شريف باشا يستقيل لمعارضة الخديو إياه فى تشكيل مجلس النواب ؛ وإصراره على الحكم المطلق . ورأوا الخديو يؤلف وزارة برياسته ، مما ينم عن ميوله الاستبدادية ، ثم يكلف رياض باشا تأليف وزارة من مبادئها الأساسية حكم البلاد حكما مطلقا ، وحرمانها أى نظام دستورى .. حتى مجلس شورى النواب القديم على ما كان عليه من ضعف السلطة ، فقد ظل معطلا سنتين ، طوال عهد وزارة رياض باشا »

وقد كانت الصحافة تلاقى العنت والمشقة . ولا تزال نذكر قانون تقييد الصحافة الذى أطل برأسه من مدة ، غير أن الصحف ومن ورائها أبناء الأمة ، تنادوا حتى وأدوا هذا القانون الرجعى فى مهده . والرقيب لا زال صرير قلمه يدوى فى آذاننا إلى وقت قريب . وفى عهد توفيق استهدفت الصحف المعارضة للاضطهاد فى عهد وزارته ، ثم فى عهد وزارة رياض ، واستخدمت الحكومة اللائحة القديمة المسماة لائحة المطبوعات لإنذار الصحف أو تعطيلها . وقد عطلت الحكومة فى عهد وزارة توفيق جريدة « مرآة الشرق » مرة لمدة شهر ومرة لمدة خمسة أشهر ، وأنذرت جريدة « التجارة » . وفى عهد وزارة رياض أنذرت الحكومة جريدتى « مصر » و « التجارة » ، وأنذرت جريدة « مصر الفتاة » ، وأنذرت جريدة « الإسكندرية » ثم عطلتها شهرا ، وعطلت جريدة « المحروسة » لمدة خمسة عشر يوما ، ومنعت جرائد « النحلة » و « أبو نضارة » و « أبو صفارة » و « القاهرة » و « الشرق » من دخول القطر المصرى

ولم يكن حظ المخلصين والوطنيين فى عهدنا هذا بأحسن منه فى عهد توفيق ، فإنهم قد أوذوا فى كلا العهدين ، ونابهم رزء شديد وغبن بالغ ، لا لشئ إلا لأنهم يخلصون لوطنهم ويعملون لإخوانهم أبناء الشعب ، فكان جزاؤهم الإقصاء والحرمان ، وتقديم العملاء والأصهار والمحاسيب والمرتشين ، وبذلك تتعطل مصالح العامة ، ولا يتقدم إلا كل خب مخادع مستغل ، لا يخدم وطنه ، وإن كان على استعداد لأن يتمرغ تحت أقدام سادته وأولياء أمره ، الذين لا يختلفون عنه فى أنانيته واستغلاله ونكوصه عن قواعد الشرف والمروءة . وقد أرغم الخديو توفيق محمود سامى البارودى على تقديم استقالته من وزارة الحربية لمشايعة العرابيين ولأسباب أخرى ، وعين صهره داود باشا يكن بدله ، ثم أعقب ذلك صدور أمر آخر بعزل أحمد باشا الدره ملى محافظ القاهرة ، لما كان معروفا عنه من مشايعة حركة عرابى ، وتعيين عبد القادر باشا حلمى مكانه ، وكان مكروها من العرابيين ، وبث محافظ العاصمة الجديد العيون والجواسيس لينقلوا أخبارهم ، ويتعرفوا على حركاتهم وسكناتهم

ما أشبه الليلة بالبارحة ، وإن التاريخ يعيد نفسه . ولكن الذين يعتبرون به هم القليلون . وهذا الذى ذكرته من قبل كان من أسباب ثورة أحمد عرابى . وهو ذاته من أسباب ثورة محمد نجيب . الاستبداد بالأمر ! تقييد الحريات ! إبعاد المخلصين وحرمانهم وتقريب الأذناب والمفسدين ! فضائح الاستغلال والارتشاء ! النطرسة والتنكر لحقوق الشعب ! كل هذه دروس بالغة كان يجب أن تؤتى ثمارها ، غير أن الناس غافلون عما تقدمه لهم يد الزمان من ألوان العظة والاعتبار . ولو اعتبروا ، ولو اتعظوا ، لما وقع المتأخرون فى مثل ما وقع فيه المتقدمون من عوامل الإفساد والأثرة ، فانقلبت عليهم شعوبهم طالبة العدل والإنصاف !

أنا لم أر الأستاذ الرافعى ، ولكن كتابه ينم عنه ، فهو كتاب دقيق واضح عادل . ومعنى هذا أن مؤلف الكتاب يتمتع بصفات نادرة هذه الأيام من العدل والنظافة والإخلاص . وهى ذات الصفات التى قد تكون وقفت فى سبيله ، وغبنته حقه ، فتقدم عليه من هو دونه . وإنه لأثر قبيح من آثار هذا الزمن الذى كنا نعيش فيه — والذى أرجو أن ينقشع — أن تكون

الصفات النبيلة والكفايات الخلقية النادرة من أسباب تعويق الإنسان عن أن يصل إلى ما يستحق من تقديم وتكريم

وأظن أنه كان من الخير أن حرم كتابه «الزعيم أحمد عرابى» النور إثر انتهائه من كتابته ولم يظهر فى وقته المحدد . ذلك أن الظرف الذى ظهر فيه فيما بعد هو أنسب الظروف لاستقبال مثل هذا الكتاب . فالكتاب عن جهاد زعيم ثائر — والثورة كانت للظفر بحق الشعب . ونحن الآن فى ثورة — وهذه الثورة للظفر بحق الشعب . وبظهور الكتاب الآن ، وبقراءته ، يجب أن نقارن بين الثورتين فى دوافعها وأسبابها ، وفى أغراضهما ، وفى طبيعتهما . ويجب أن نعرف الدواعى التى أدت إلى إخفاق الثورة الأولى ، لنتحاشاها ونحصن أنفسنا وثورتنا ضدها ، ولئلا نقع فيما وقع فيه العرابيون

يذكر الأستاذ الرافعى بحق أن للثورة العرابية مرحلتين : المرحلة الأولى كانت الثورة فيها مسددة موفقة ، والمرحلة الثانية حادت الثورة فيها عن طريق الإصلاح المنشود . والفارق بين المرحلتين هو عمل العرابيين على تنحية محمد شريف باشا عن الحكم وتولية البارودى . ومن المقرر أن شريف باشا كان بلا نزاع أقدر من البارودى على حسن تدبير الأمور فى تلك الأوقات العصيبة ، إذ له من ماضيه السياسى ، وثقافته ، واختباره ، ما يجعل له كفاية ممتازة فى الاضطلاع بالمهام السياسية . أما البارودى فقد كانت نشأته أدبية حربية فحسب ، وهذه مزايا ليست هى المطلوبة لتصريف سياسة مصر ، وخاصة فى هذا الظرف المضطرب . زد على ذلك أن رجال الحرب والشعر لا يعالجون المشكل علاجا واقعيا ، بل يعالجونه بالحمية القلبية والخيال الذهنى ، لا بعقلية الحكيم المتبصر

وهذا درس يجب أن يصغى إليه القائمون بأمرنا الآن ، ويولوه عنايتهم ، ويرعوه حق الرعاية . فإننا الآن عرضة — لا قدر الله — لمثل هذه المزالق التى تعثر فيها الآراء . ولو استمعنا إلى الماضى ، وأحسنا التلقى عنه ، لجنبنا ذلك كثيرا من الصعوبات السياسية الكثيرة ، تلك الصعوبات التى ينقب عنها كل لحظة أعداء الحركة فى الداخل والخارج

وقد كان لكل من إنجلترا ، وفرنسا ، وتركيا ، موقف مشهود فى الحركة العرابية ، أما فرنسا وإنجلترا فكانتا تتدخلان فى شؤون مصر الداخلية ، وتعملان على إحباط الحياة النيابية ، وتوسيع شقة الخلاف بين الثائرين والخديو . وكان لهما ما أرادتا . ثم انسحبت فرنسا من الميدان وخلت إنجلترا وحدها فيه تتصرف بمحض جشعها واستغلالها ومصالحها الخاصة ، دون رعاية لمصالح مصر ، ولا لمصالح العرابيين ، ولا لمصالح الخديو الذى تدعى أنها تحميه وتعمل على استقرار عرشه . وأما السياسة التركية فكانت تتسم بقصر النظر ، والغرور الأحمق ، والعمل على تسوىء سمعة مصر ، وإعلان سيطرتها الوهمية على البلاد . وهذا شبيه بموقفها الآن من الدول العربية عامة ومصر خاصة ، فهو موقف الحقود الذى يتربص بنا الدوائر ، فلا تنصر قضية عربية ، وموقفها من مرور ناقلات البترول بقناة السويس لحساب اليهود معروف ، وكذا موقفها من قضية تونس الذبيحة معروف أيضا

والأستاذ الرافعى كتب كتابه بأسلوب المجتهد ، إذ المعروف أن مصادر التاريخ المصرى ملوثة ، وأن الكاتب يجد حرجا كبيرا ، خاصة إذا كان من الوطنيين المخلصين أمثال الأستاذ الرافعى ، فهو يكتب للوطن ، لا لحساب دولة معينة ولا ناحية ما ، بل إرضاء للحقيقة والواقع وتسجيلا لفترة من ماضى هذا الوطن المنكوب ، حتى يفيد من يرجو الخير لبلاده ، وحتى يشيح بوجهه من يشاء

وهو مستقل فى أحكامه على أحداث الثورة العرابية ووقائعها . وهو لا يعفى العرابيين من اللوم والتقريع . ولا يعفى الخديو ولا أولياءه من المؤاخذة العنيفة والصفع الدراك . فقد نقد موقف العرابيين من وزارة شريف باشا التى جاءت على أثرها وزارة البارودى باختيارهم . ونقدهم على عدم ردمهم قناة السويس اعتمادا على قول فرديناند دى ليسبس . ونقد موقف إنجلترا من وزارة إسماعيل راغب التى جاءت بعد وزارة البارودى . وأغلب الظن أن إنجلترا لم تكن تبتغى تأليف وزارة فى مصر لكى تبدو البلاد فى حالة غير عادية وتتخذ من ذلك ذريعة إلى التدخل فى شؤون البلاد . فلما تألفت وزارة إسماعيل راغب قابلتها السياسة الإنجليزية بالجفاء وعدم الثقة والغض من قدرتها على إعادة الأمن إلى نصابه وأخذت تخلق لها العقبات والعراقيل . ونقد موقف تركيا ، فبينما كانت تتظاهر

بتأييد سلطة الخديو ، إذ بالسلطان عبد الحميد يعلن عطفه على عرابى ويمنحه نيشانا رفيع الشأن ، ثم إذا جد الجد ونشبت الحرب بين عرابى والإنجليز طعنه السلطان فى الصميم بإعلانه عصيانه ، فكان هذا الإعلان من أكبر أسباب هزيمة عرابى وخذلانه .

هذا التناقض والاضطراب ، مضافا إليها قصر نظر تركيا وسوء نيتها نحو مصر ، ورغبتها فى إنقاص استقلالها ، ثم ما جبلت عليه من الدس والوقيعة ، وتأثر وزرائها بالمال والرشا ، جعل السياسة التركية عامل فساد استخدمته بريطانيا لتحقيق أطماعها فى مصر

إنى أدعو إلى كتابة التاريخ المصرى الحديث من جديد ، على هذا النحو الذى يكتب به الأستاذ الرافعى ، لأننا بحاجة لأن نعرف بلادنا وتاريخنا على الوجه الصحيح فى هذه الفترات المظلمات ، ولنكون على بينة من أمرنا وأمر أولياء الأمر فينا ، ملوكا وزعماء ووزراء ، ولنكون على بينة من مصالح الوطن وأمانيه ومطاليه فى السنوات الخوالى

محمود عبد العزيز محرم

البريد الأدبي

حول بيت للمتنبى

نشر الأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى فى العدد ٩٩٥ من مجلة الرسالة الغراء هذا البيت ونسبه للمتنبى فى الصفحة ١٥٥ من الجزء الأولى من شرح الديوان لعبد الرحمن البرقوقى

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

ولدى تصفح الجزء الأول من شرح الديوان لم أجد هذا البيت الذى أشار إليه الأستاذ الناصرى .. ولعل الأستاذ يقصد ما ورد فى الصفحة ١٥٤ من شرح الديوان من قصيدة للمتنبى يمتدح بها بدر بن عمار ارتجالا وهو على الشراب

إنما بدر بن عمار سحاب هطل فيه ثواب وعقاب

ومعنى هذا البيت أن مثله مثل السحاب الذى يهل بالمطر تنقض فيه الصواعق ففيه حياة لقوم وهلاك الآخرين. وهذا المعنى يناقض ما ذهب إليه الأستاذ الناصرى . ويتضح من ذلك أن الأستاذ لم يطلع على شرح الديوان كما ذكر فى تعقيبه وله منى جزيل الشكر

خلف إبراهيم الطائب

إلى الأستاذ « عين »

كلمتك الصغيرة يا أستاذ فى العدد (٩٩٧) من « الرسالة » الغراء — مترعة العاطفة ، واثبة الروح ؛ ولكنك لم تصب فى تقدير قيمة ، أو « حقيقة » هذه الحركة المباركة حين قلت : « ووالله ثم الله الذى لا يحلف به كذباً إلا فاجر لو أعطيت مائة ليرة ما فرحت بها مثل فرحى بهذا الخبر »

أعتقد أنك أخطأت تقدير حركة هذا الانقلاب لما كان يوازى — عندك — مائة فما فوقها ...

إن هذا الانقلاب ياسيدى الأستاذ — لا يقدر بالمائة ولا المائتين ، ولا الألف ولا الألفين ؛ وإنما يوزن بالحياة بكل معانيها من حرية وعزة وكرامة ...

ووالله لو وضع انقلاب مصر فى كفة ، ووضع ذهب الأرض وفضتها فى كفة أخرى . لرجحتها الكفة الأولى

إن وثبة الشعوب وانعتاقها لا يوازيه ثمن إلا الحياة بكل مقوماتها .. فعلى بركة الله يا شعب مصر

عبد الله الشيرازى الصباغ

شوقية أخرى

الحرب لا بد منها وإن أباها الأنام
حقيقة وضعوها فليس فيها كلام
ما دام شر فحرب والشر فيهم لزام
فى كل يوم دعاوى لا تنقضى وخصام
إذا استراح فريق تقاتلت أقوام
والناس للناس بالحر ب سيد وغلام
ولن يسودوا جميعا حتى يسود السلام

أرسل إليكم هذه الشوقية النادرة أو المفقودة فيما أعتقد رجاء عرضها على الأستاذ عبد القادر الناصرى وعلى القراء لمعرفة

ما إذا كان أحد قد صادفها قبل الآن . وسأوافيكم بالموجود فيما بعد

لطف الله نصر الدين أيوب

حول علم النبي بالغيب

في « عدد الرسالة ٩٩٩ » : فالقرآن الكريم أثبت الغيب لله ونفاه عن غيره في قوله « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا »

وفي « شرح المقاصد للسعد التفتازاني » : النفي في قوله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحداً) مع فرض التغاضي عن الاستثناء — مسلط على مصدر مضاف — أعني غيبه وهو من ألفاظ العموم ، فيفيد سلب العموم ، لا عموم السلب . فيكون المعنى نفي علم جميع الغيب لا نفي علم شيء من الغيب

محمد شفيق

غضبة لصيحة

عزيز علينا أن يفرض الصمت على الناي المغني بالعراق، وأن تظل .. الخميلة « غائبة لا يباح لها اخضرار ولا إيراق ، بينما تحت الأنظار عشب يجهد الأرض ولا يجود بالثمر ، يرعى ويغذى ، ويخص دون غيره « بالامتياز » .. هذا وقضاء الله قائم بأن الزبد ذاهب جفاء ، وأن العاقبة للنافعين

لقد أصغيت إلى صيحة « الناصري » « بالرسالة » موئل الثقافة الحرة ، فعجبت للرجعية ! كيف تنبح موكب التقدم ؟ وكيف لم تصعق من جبروت الحضارة

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

إن الفكر كالنهر حليم رزين قد يقف للسد ويطيع ، ولكنه إذا فاض وتجمعت دفقاته ، خرت صاغرة في جوف واديه كل العوائق والسدود ، وما حطم أحجار « الباستيل » غير وخزات « فولتير » ، وما أسقط « القيصرية » إلا أمثال « جوركي » ونصيب الشعوب بعد ذلك من الجهاد ، أنها استجابت لصيحة العقل ، وحققت إرادة الفكر ، وغنمت النصر والحرية ؛ فحرام تعضيد الأميين ، وخذلان المثقفين . لأن ذلك إطفاء لشموع يريد لها ربها أن تضيء .. واعتبروا إن كنتم تبصرون

بني سويف — بركات

يتيم ولطيم

ظهر أخيراً كتاب المساكين لدستويفسكي ترجمة السيدة صوفي عبد الله وجاء في ص ٣٤ منه هذه العبارة : —

« وساشا فتاة يتيمه لطيمة مات عنها أبواها ..... » ونقول سائلين على أي نوع من أنواع البلاغة يكون التعبير بهذه الطريقة ؟

يقولون يتيم لمن مات عنه أبوه ، ويقولون عجي لمن ماتت عنه أمه ، ويقولون لطيم لمن مات عنه أبواه جميعا

وخلاصة ما نريد قوله إنه ما دام مات عن الفتاة والداها فلا داعي لاستعمال لفظ (يتيمة) إذ أن كلمة (لطيمة) وما تبعها من تفسير لها يغني كل الغناء عن استعمالها .

لقد حسبته الترجمة الفاضلة من الاتباع وليس منه

خميس محمد إبراهيم



وفاء زوجـــة

عن الإنكليزية

كان يعيش فى العاصمة منذ عدة قرون رجل فيلسوف اسمه شوانج . وكان معتكفا عن الناس لا يكاد يخرج من داره . وقد ماتت زوجته الأولى فى سن الشباب ولم يكن سعيدا معها؛ وكذلك كل الفلاسفة لا يسعدون بالزواج . فتزوج للمرة الثانية ولـكنه طلق زوجته الأخرى متهما إياها بسوء السلوك ؛ وتزوج للمرة الثالثة بسيدة تدعى « تاين » فوجد معها من السعادة مالم يجده فى المرتين السالفتين

وغير مسكنه بعد الزواج منها فأقام فى ضاحية بالقرب من الجبال

كان يتنزه فى الخلاء ، ففى يوم من الأيام وجـد امرأة أمام قبر حديث البناء وفى يدها مروحة تحاول بهـا تجفيف بنائه . فـكان ذلك الحادث داعياً إياه للتساؤل ، فاقترب منها وسألهـا فى رفق : « ما الذى تفعلين ؟ »

فأجابته : « فى هذا القبر رفات زوجى . ولما كان رحمه الله غبيا فقد استحلفنى ألا أتزوج بعده حتى يجف بناء قبره وقد زرت القبر أياما متوالية فلم أجد بناءه جف ولذلك استعجلت تجفيفه بهذه المروحة »

قالت ذلك ونظرت إلى الفيلسوف نظرة حملتـه على أن يؤدى لها خدمة . فقال : « إن يديك ليستا قويتين فدعينى أساعدك »

فقالت : « شكرا ! وهذه هى المروحة وستؤدى لى أعظم خدمة إذا عملت فى تجفيف القبر »

فجلس يروح بقوته السحرية فجف القبر بعد لحظات قليلة . وسرت السيدة بنجاحه فابتسمت له ابتسامـة مشرقة وجعلت علامة شكرها إياه أن أهدت إليه مروحة أخرى ثمينة كانت تحتفظ بها بين ثيابها ؛ وأهدت إليه كذلك دبوساً غاليا كان فى طيات شعرها فقبل الهدية الأولى ورفض الثانية ، ثم ذهب إلى منزله فتذكر الحادث وهو جالس مع زوجته فتنهد ؛ فلما سألته عن سبب تنهده أخبرها بما سمعه ، فبدا عليها الغضب وثارت على تلك الأرملة التى فضحت بنات جنسها. فردد شوانج المثل القائل: إن رؤية وجوه أناس شئ ، ورؤية وجوههم شئ آخر ؛ فقالت زوجته : « إنك تظلم النساء إن زعمت أنهن جميعا مثل تلك الأرملة التى لا تخجل »

فقال الزوج : « عـــلام هذا الاهتمام ؟ أخبرينى ، إذا مت وكنت لا تزالين صغيرة جميلة ، أترضين بالترمل خمسة أعـوام أو ثلاثة ؟ »

قالت : « إن الوزير الأمين لا يخدم سيدين ، والزوجة الفاضلة لا تتزوج من رجلين ؛ فإذا قدر الله أنك تموت قبلى فلن يقتصر وفائى على الترمل ثلاثة أعوام أو خمسة ، ولـكننى سألبس ثياب الحداد حتى أموت »

قال شوانج : « هذا كلام يصعب تصديقه » فقالت : « هل تظن أن النساء كالرجال المجردين من الإنصاف والوفاء ؟ إن الزوجة متى ماتت يبحث الزوج عن غيرها ، وقد يطلقها لأنه اختار غيرها . فلا تستمر فى حديثك الذى أزعجنى »

فعند ما سمع الزوج هذه الـكلمات مزق المروحة التى أهديت إليه عند المقبرة . وقال : « هدئى من روعك وأرجو أن يكون عملك فى المستقبل مطابقا لقولك الآن »

بعد أيام كثيرة من هذا الحديث مرض شوانج مرضا خطرا فلزم الفراش . ولما بدت عليه علائم الموت قال لزوجته : « أشعر الآن بقرب منيتى فأستودعك الله . ولـكننى آسف على تمزيق تلك المروحة ، فقد كانت تنفعك فى تجفيف قبرى » .

فقالت الزوجة وهى تبـكى : « أرجو يا زوجى العزيز ألا تكون هذه الساعة الأخـيرة ساعة ريبة تشعر بها نحوى . إننى قرأت كتاب السنن وتعلمت منه أن المرأة الفاضلة لا تتزوج إلا من رجل واحد . فإذا كنت لا تزال ترتاب فى فإنى أقتل نفسى بين يديك لأبرهن على وفائى »

فأجابها شوانج : « إننى لا أريد شيئا بعد الذى سمعته منك »

ثم اشتدت وطأة المرض عليه فقال : « هأنذا أعالج سـكرة الموت . إن الدنيا تظلم فى نظرى »

وعند هذه الـكلمات فقد الحركة والتنفس . فلما عرفت تاين أن زوجهـا مات علا صوتها بالبكاء وعانقت جثته مرة بعد مرة وبكته آناء الليل وأطراف النهار مفكرة فى فضائله وحـكمته ،

وجريا على العادات المتبعة فى الصين لم يدخر جيرانها جهداً إلا بذلوه فى سبيل مساعدتها

وبعد أيام أقبل طالب وجهه كوجه الدمية من الحسن وشفتاه كالعقيق وعليه ثوب من الحرير البنفسجى وفوق رأسه قبعة سوداء مزركشة بالحرير وحذاءاه قرمزيان ووراءه خادم

وقال الطالب للسيدة إنه منذ بضعة أعوام أفضى للفيلسوف شوانج رغبته فى أن يصير تلميذاً له فقبل ، وإنه جاء من بلاده اليوم لأجل هذه الغاية ، ولكن لسوء حظه لم يصل إليه بعد موت الأستاذ ، وإنه وفاء لعهده يريد أن يقيم فى منزله حزينا عليه مائة يوم

وبعد أن أبلغها ذلك سجد أربع سجدات وبلل الأرض بدموعه . ولما هدأت أعصابه قليلا طلب مقابلة تابن فرفضت ثلاث مرات، ولكنها رضيت أخيراً أن تراه بعد أن أخبرها الثقات بأنه لا حرج على أرامل العلماء من مقابلة تلاميذهم

وتلقت تحياته بأهداب مسترخية فقد فتنها جماله ورشاقته واختلج قلبها بمشاعر كثيرة وطلبت إليه أن يقيم بالمنزل . وأعد العشاء فتناولته معه ، وكان تنهدها يمتزج بتنهده ، وأهدت إليه علامة على تقديرها إياه نسخة من كتاب « تاُهوا » وأخرى من كتاب « سوترا » وهما الكتابان اللذان يؤثرهما زوجها

وكان هو أيضا علامة على حزنه يصلى كل يوم بجانب القبر ساعة تجلس إليه لتبكى

وفى أثناء هذه الجلسات كانت تدور أحاديث قصيرة وبتسارقان النظرات فنشأ بينهما العطف فمال إليها كثيرا وأحبته أشد الحب

ولما كانت راغبة فى تعرف أحوال ضيفها استدعت خادمه وقدمت إليه النبيذ حتى سكر وسألته : « هل سيده متزوج ؟ » فقال : « إنه لم يتزوج قط ». فسألته الزوجة : « وما هى الصفات التى يشترطها فيمن يريدها زوجة » . فقال وقد أثر فيه النبيذ : « يقول إنه يعد نفسه أسعد الناس إن صارت له زوجة فى مثل جمالك يا سيدتى »

فسألته باهتمام : « هل قال ذلك حقا ؟ أتخبرنى بالصدق ؟ »

فأجابها الخادم : « إن رجلا فى مثل سنى لا يكذب »

قالت : « إذا كان الأمر كذلك فكن وسيطا فى الزواج بينى وبينه »

فقال : « إن سيدى كلمنى فى ذلك قبل الآن ، وإنه لولا احترامه لذكرى أستاذه لبادر بطلب الزواج »

قالت الزوجة : « الواقع أنه لم يكن قط تلميذا لزوجى ، أما جيراننا فهم قليلون وليسوا من ذوى الاعتبار فلا يحسن أن تقيم وزناً لانتقادهم »

وهكذا ذللت العقبات وتعهد الخادم بأن يكلم سيده . ولما ذهب الخادم شعرت السيدة بقلة الصبر شعورا مضاعفا . وكانت تسير فى منزلها ذهابا وجيئة وتنصت قرب النافذة علها تتسقط كلمة من حديثه وهى لا تفكر إلا فى الزواج

فلما دنت من القبر سمعت صوتا يصدر منه واضحا ، وسمعت تنهدا فقالت : « هل من الممكن أن يعود الميت إلى الحياة فى الدنيا ؟ »

ولكنها سرعان ما اطمأنت لما رأت الخادم السكران نائما بجانب القبر . ولو أنها لا حظت هذه الملاحظة فى وقت عادى لأنبت الخادم وزجرته ، ولكنها فى هذا الوقت لم تجد خيرا من السكوت

وفى الصباح التالى قال لها الخادم إنه كلم سيده وإن السيد يجد فى هذا السبيل ثلاث عقبات وهى :

أولا : إن قبر الميت فى وسط الدار ، وذلك لا يجعله مسكنا صالحا للعروسين

ثانيا : إن شوانج كان يحب زوجته حبا شديداً وإنها كانت كذلك تحبه ، وهو يخشى إن تزوج منها ألا تستطيع حبه كما كانت تحب زوجها الأول ؟

ثالثا : إنه لم يأت معه من الثياب ولا من المال بما يلزم لإتمام الزواج

قالت الزوجة : إن هذه الأمور لا يصح أن تسمى عقبات فى سبيل الزواج ... فقبر الميت ينقل من داخل المنزل إلى الحديقة التى خلفه ... أما من الوجهة الثانية ، فقد كان شوانج محترما عظيم النفوذ ولكن به ضعفا من الوجهة الخلقية ؛ فقد ماتت زوجته الأولى ، وطلق زوجته الثانية ، وكان قبل وفاته بقليل يغازل امرأة

تروح على قبر زوجها ليجف ، فلا يكن عند الطالب شك فى أنه سينال من حبها إن تزوج منها أكثر مما ناله الزوج السابق ! وأما من الوجهة الثالثة فإن لديها مالا كثيرا وستعطيه ثمن الثياب وتقوم بنفقات العرس !

وقالت : أخبره أن اليوم أنسب يوم للزواج ، فلا يتردد ، ولا يرجىء الأمر ! وأعطت الخادم مالا كثيرا فذهب إلى سيده الطالب

ولم يكد يذهب ، حتى أبدلت تاين ثياب الحداد بثياب العرس وأوقدت الشموع واستعدت لحفلة الزفاف ، ولكن فى الموعد المحدد جاء الطالب هائجا وعليه علامات الجنون . فاستدعت تاين الخادم وسألته هل اعتاد سيده أن تنتابه هذه النوبات ؟

قال : نعم ، فإنه مدله بحب الإله « تسو » إله العلم ، وكانوا يعالجونه من هذه الحالة بأن يطعموه مخ إنسان !

فقالت : وهل يصلح لذلك مخ إنسان مات موتا طبيعيا ؟

قال : نعم على شرط ألا يكون مضى على وفاته تسعة وثلاثون يوما !

فقالت : « الأمر سهل فإنه لم يمض غير عشرين يوما على موت زوجى الأول فلنفتح قبره ، ولنطعمه مخه »

قال : « وهل توافقين على ذلك ؟ »

فقالت : « إننى وسيدك الآن زوج وزوجة ، وعلى الزوجة أن تفعل من أجل زوجها كل شىء فكيف أرفض إطعامه من جثة إن تركناها قليلا استحالت إلى تراب ؟ »

فأحضر الخادم فأسا وذهب مع تاين إلى القبر لحفره حتى بدا الصندوق فناولها الخادم الفأس ، وكسرت الصندوق فظهرت الجثة ، ورفعت الزوجة يدها بالفأس لتكسر الجمجمة وتستخرج المخ ، ولكن الجثة تثاءبت ثم فتحت عينيها

فصاحت تاين مذعورة ووقع الفأس من يدها ، وجلس الفيلسوف الميت فى قبره وقال : « يا زوجتى العزيزة ساعدينى على القيام »

فخافت الزوجة ولم يكن فى وسعها إلا أن تطيع ، فساعدته وقادته إلى غرفتها ، وكانت غير ناسية المنظر الذى سيؤله فى هذه الغرفة ، ولذلك ارتعشت وهى تقترب من الباب ؛ ولكن كان من حسن حظها أن الطالب وأصحابه خرجوا من تلك الغرفة قبل ذلك

فانتهزت هذه الفرصة وقامت بالخدمة التى تحسنها كل امرأة وأقسمت أنها لم تكف عن البكاء بالليل ولا بالنهار . وأنها لما سمعت صوتا من جانب القبر تذكرت القصص القديمة التى تدل على احتمال عودة الموتى إلى الحياة ؛ فأخذت الفأس لتفتح له القبر ؛ وحمدت الله أن جعل ظنها صحيحا فعاد زوجها إليها

قال : « أشكرك يا زوجتى العزيزة ولكن هل لى أن أسألك لماذا ترتدين ثيابا مفرحة كثياب العرس ؟ »

فقالت : « لما سمعت الصوت من جانب القبر حدثتنى نفسى بأنك عائد إلى الحياة فلم أرد استقبالك فى ثياب الحداد »

فقال : « ولكن أمراً آخر يستدعى الإيضاح وهو لماذا لم يكن قبرى فى داخل المنزل كما هى العادة بل خلف المنزل فى الحديقة ؟ »

فلم تستطع الزوجة مع ذكائها أن تجيب عن هذا السؤال

ونظر شوانج إلى كؤوس الخمر والشموع الموقدة وموائد العرس ، ولكنه لم يبد ملاحظة أخرى بل طلب إلى زوجته أن تناوله كأساً من النبيذ ففعلت وهى تهش فى وجه زوجها وتبسم له . ولكنه رفض أن يتناول الكأس ، وقال : « انظرى إلى الرجلين الواقفين خلفك »

فنظرت ورأت الطالب وخادمه فارتجفت . ولكنهما اختفيا فى الحال فعادت إلى النظر إلى زوجها فوجدته اختفى كذلك . ثم عادت إلى النظر خلفها فلم تجدهما ، والتفتت فرأت شوانج أمامها مرة أخرى فأدركت الحقيقة ، وهى أن الطالب وخادمه لم يكونا إلا طيفين خلقهما روح شوانج ، ووجدت من العبث إنكار الحقيقة عنه

ولما اعترفت بها وضعها فى الصندوق الذى كان مدفونا فيه ثم أضرم النار فى منزله فلم يسلم منه شىء غير كتابى « نانهوا » و « سوترا »

ثم سافر شوانج متجهاً إلى ناحية الغرب ولا يعرف أحد إلى أين ذهب ، ولكن شيئا واحدا هو الذى يوثق به وهو أنه لم يعد إلى التزوج مرة أخرى

ع . م

مطبعة الرسالة

صوت من الماضي

أنا الملك الفتى ..!

للأستاذ محمد محمود زيتون

لبس سليمان بن عبد الملك يوما حلة وعمامة ، ونظر فى المرآة ، فأعجبته نفسه ، ونفخ الشيطان فى منخريه ، فقال :

أنا الملك الفتى

وكان إلى جواره ، إحدى جواريه ، فانطلق لسانها يقول :

أنت نعم المتاع ، لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان
ليس فيما علمته فيك عيب
كان فى الناس ، غير أنك فان

ولم ينقض أسبوع حتى مات الخليفة الشاب الذى لم يعرف التاريخ أشد منه حبا للطعام والشراب والنساء ، فى حقبة لم تتجاوز ثلاث سنوات ، احتفلت بالترف والبذخ ، وطفحت بالزيغ والفساد ، والتحزب والتعصب ، والنكال بالأخيار ، ومداراة الأشرار

قيل إن أباه — عبد الملك بن مروان — جاءه نبأ مصير الخلافة إليه . وهو جالس يقرأ فى المصحف ، فأطبقه وقال : « هذا آخر العهد بك » . فما لبث هـذا التقى النقى أن استهوته الدنيا بزخرفها ، فتغير حاله ، وأطلق العنان لفرعون بنى أمية — الحجاج بن يوسف الثقفى — الذى ولغ فى الدماء والأشلاء . وحسب التاريخ مؤاخذة لعبد الملك أن كان الحجاج سيئة من سيئاته

ورث سليمان عن أبيه دولة وصولة ، وجمع مثله بين النقيضين ، فإنه غمط فضل العاملين ، ولم يستثمر جهود القادة الفاتحين الذين وطدوا له دعائم الخلافة ، ومكنوا له فى الملك العريض ، فقلب لهم ظهر المجن ، ولا سيما من كان فيهم قريبا للحجاج أو مقربا منه ، وذلك لما كان بينهما من عداوة قديمة . فقد كان الحجاج يهمل أوامره ويتكبر عليه أيام كان سليمان ولى عهد أخيه الوليد، ومن هنا امتد بغضه للحجاج حتى عصف بأشهر القادة

واتبع سليمان خطة الإيقاع بين الولاة والأمراء ، فدبت عقارب الفتنة بينهم ، وتسللت أفاعى الفساد إلى الحكومة ، ويئست الأمة من الإصلاح ، وقبع كل صالح فى عقر داره يلتمس النجاة

ولم يدخر وزيره الصالح وابن عمه عمر بن عبد العزيز وسعا فى بذل النصيحة له ، ولكن جذور الشر كانت قد بلغت الأعماق فى كل مرفق من مرافق الدولة . ولم يكن عجيبا — آخر الأمر — أن تنهار دولة الأمويين بعد اثنين وثمانين عاما ، حملت خلالها جراثيم الانحلال والتدهور ، فقد سئل حكيم : ما سبب زوال ملك بنى أمية مع كثرة العدد والعدد ، والأموال والموالى ؟ فأجاب ، وأحسن الجواب : لأنهم أبعدو أصدقاءهم ثقة بهم ، وقربوا أعداءهم جهلا منهم ، فصار الصديق بالإبعاد عدوا ، ولم يصر العدو بالتقريب صديقا

وفى ذات يوم دخل الملك الفتى . مدينة رسول الله فسأل : هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب رسول الله ؟ فقيل له : أبو حازم ، فأرسل فى طلبه ، فلما دخل عليه سأله : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ فأجابه : لأنكم أخربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنقلوا من عمران إلى خراب ... وأغضى الملك الفتى ، ثم أخذ يستزيد أبا حازم : وكيف القدوم على الله ؟. فقال : أما المحسن فكغائب يقدم على أهله ، وأما المسىء فكآبق يقدم على مولاه

وبكى أبو أيوب ، ثم قال : يا ليت شعرى ، ما لنا عند الله ؟.. فقال له أبو حازم :

أعرض عملك على كتاب الله . فسأله : فى أى مكان أجده ؟ قال : فى قوله تعالى « إن الأبرار لفى نعيم ، وإن الفجار لفى جحيم » . فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من المحسنين . فقال : فأى عباد الله أكرم ؟. فأجاب : أولو المروءة

وكان وزيره الأمين شديد الحرص على قول الحق ، لا تأخذه فيه لومة لائم . اصطحبه يوما فى الحج ، فراع الخليفة

عدد الرمل والحصى من رعاياه ، فتلفت إلى وزيره وقال : ألا ترى هذا الخلق الذى لا يحصى عددهم إلا الله ، ولا يسع رزقهم غيره ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء رعيتك اليوم ، وهم خصماؤك غدا عند الله . فبكى سليمان أشد البكاء . وقال : بالله أستعين

وفى الواقع أن لحظات الندم التى كانت تطرق ضمير الملك الفتى ، لم تكن غير فواصل عنكبوتية بين طغيان موصول ، واستبداد متأصل ، فقد أشرف يوما على الدنيا ، فأعجبه ما صار إليه من الملك الذى نسجته دماء الشهداء ، ودموع الفقراء ، فنسى هذا كله أو تناساه ، وتلفت إلى الوزير المؤمن وقال له : ياعمر ، كيف ترى ما نحن فيه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا سرور لولا أنه غرور ، ونعيم لولا أنه عديم ، وملك لولا أنه هلك ، وفرح لو لم يعقبه ترح ، ولذات لو لم تقترن بآفات ، وكرامة لو صحبتها سلامة

وبكى سليمان ما شاء له أن يبكى ، ولم يكد يضيق بما فيه حتى دخل عليه أعرابى يقول : يا أمير المؤمنين ، إنى مكلمك بكلام فاحتمله ، فإن وراءه إن قبلته ما تحب . فقال : هاته يا أعرابى . فقال الأعرابى :

إنى أطلق لسانى بما خرست عنه الألسن ، تأدية لحق الله ، إنه قد اكتنفك رجال قد أساءوا الاختيار لأنفسهم ، وابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم ، وخافوك فى الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حرب للآخرة ، وسلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما استخلفك الله عليه ، فإنهم لن يبالوا بالأمانة ، وأنت مسئول عما اجترموا ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس عند الله عيبا من باع آخرته بدنيا غيره

عندئذ صعر الملك الفتى خده للأعرابى الذى قدم ينصحه بتطهير حاشية السوء ، وبطانة الفساد ، واستكثر أن يكون ذلك التوجيه منبعثا من أعرابى ، فقال : أنت ، ما أنت بأعرابى ، فقد سللت لسانك علينا كما تسل سيفك . فأجابه فى جرأة : أجل يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك

ويشاء مالك الملك أن تنقشع هذه النعمة الغليظة التى جثمت على صدر الخلافة ، فأحس الملك الفتى بقرب منيته ، وآن له أن يستخلف بعد أن عهد إلى ابنه أيوب بالخلافة لولا أنه مات فى حياة أبيه ، ولم يبق لسليمان إلا صبية صغار ، أمر بأن يعرضوا عليه فى أردية الخلافة ، فإذابهم لصغر أسنانهم لا يحتملون ما لبسوا ، وأخذوا يسحبونها سحبا ، ويتعثرون فيها ، فنظر إليهم وهو يقول فى حسرة :

إن بنى صبية صغار قد أفلح من كان له كبار

فقال عمر : يا أمير المؤمنين ، يقول الله تعالى « قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى » . فلم يلتفت إليه الملك المريض ، وأمر بأن يعرض عليه أولاده مرة أخرى عليهم السيوف ذات الحمائل ، فعرضوا . فإذا بهم يتكفأون بها ، ويجرونها ، ولا يطيقون حملها ، والسير بها ، فنظر إليهم ، والدمع يغالبه ، وهو يقول :

إن بنى صبية صيفيون أفلح من كان له ربعيون

وأعاد عليه عمر ما قال آنفا ، فأغمض جفنيه قليلا ، وكأنه اقتنع بأن الخلافة زائلة عنه وعن أعقابه ، فأشير عليه بأن يعقد لابن عمه ووزيره عمر بن عبد العزيز ، فأدار الأمر فى رأسه حتى لم يعد مناص من القبول

واشتد به الوجع فكتب له العهد بخطه ، ولم يطلع عليه أحدا غير رجاء بن حيوة الذى بالغ فى التكتم حتى أنه لم يذكر من ذلك لأحد شيئا إلا بعد موت الملك الفتى ، ففى آخر صحوة له قال : لأعقدن عقدا لا يكون للشيطان فيه نصيب

وحضره إذ ذاك عمر ، ففهم بفطنته أن الخلافة قد أتته تجر أذيالها ، فأوجس خيفة ، وأفضى بذلك إلى رجاء ، فتظاهر رجاء بالإنكار قائلا على سبيل التمويه : أتظن بنى عبد الملك يدخلونك فى أمورهم ؟ !

فاطمأن عمر أو هكذا حاول أن يطمئن ، فلما أعلن النبأ ، وبويع بالخلافة ، طلب إلى أحد خلصائه أن يعظه فقال : يا أمير المؤمنين ، أبونا آدم ، أخرج من الجنة بخطيئة واحدة

محمد محمود زيتون

سيادة الشعب

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

أقسمنا على أن نحرر أمتنا من الطغيان ومن المذلة والعار — أو نموت دون ذلك . محمد نجيب

أفاق الناس كأنما كانوا فى حلم مروع ، وانزاح عنهم كابوس ثقيل جثم على صــــدورهم ليلة كان طولها ستة عشر عاما ! ! سبحانك ربى تعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير

بلغ السيل الزبى وجاوز الطغيان مداه وبلغت القلوب الحناجر وراح الناس يتساءلون : أما لهذا الليل من آخر ؟؟

وحار الناس فى أمرهم ، وأشفقوا على مصير وطنهم : فحيثما نظروا وجدوا ظلما صارخا وفسادا قائما وفوضى لا أول لها ينتظر ولا آخر لها ينتظر . أخلاق تنهار ومجتمع يضمحل وحكم فاسد وفساد يستشرى . قتل للأبرياء الأحرار وسجن وتشريد ونفى وتعذيب . . رشوة ومحسوبية ، سرقة ونهب ، ظلم وغدر : تلك هى قواعد الحكم

وأشهد أنى قرأت الكثير من كتب التاريخ ولـكن ما شاهدته مصر لم تقرأ عينى له نظيرا !!

ويئس كثيرون ولـكنى كنت دائما أقول « إذا غفلت عين لإنسان فلن تتخلى عنا عناية الرحمن »

وأخيرا جاء اليوم المرتقب وأشرق العهد الجديد السعيد بمشيئة الله . وكان ذلك يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢

استيقظ الناس من نومهم واستمعوا إلى المذياع . إنه يتلو نداء جديدا . الله أكبر ، هذا يوم كان الشعب ينتظره بفارغ الصبر

لقد كان الجيش ينادى بزوال عهد الفساد والطغيان وبقيام الحكم الصالح فى ظل الدستور

وأشفق المصريون جميعا على رجال الجيش البواسل وانطلقوا يدعون الله أن يكلأهم بعنايته وأن يوفقهم فى حركتهم

وأشهد أن الناس قد أخذوا جميعا بحركة الجيش . لقد كان الملك السابق يعتمد على الجيش فى إذلال الشعب وكان الشعب على أتم استعداد لمقاومة الطغيان لو ضمن حياة الجيش

ونسى الطاغية أن الجيش من الشعب وللشعب وأن الولاء إذا قام حينا على أمل الإصلاح فلن يقوم دواما على الفساد

وامتدت حركة الفساد إلى الجيش ونـكل بالأحرار من رجاله وقتل بعضهم جهارا فى شوارع العاصمة

وكان مالابد أن يكون ، قام الجيش فى ٢٣ يوليو يضع حدا للظلم ، والطغيان ، والفساد

وكانت الحوادث أسرع مما تصور الناس . وجاء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وجلست أستمع إلى المذياع وإذا به يذيع « انتظروا بيانا هاما فى الساعة السادسة » وكرر المذيع ذلك النداء مرارا ، وأشهد أن هـذا التـكرار قد أشاع القلق فى نفسى ورحت أتساءل : ترى ماذا يكون هذا النبأ ؟ وأخذت أحسب الثوانى والدقائق حتى إذا كانت الساعة السادسة انطلق المذيع يتلو بيان اللواء أركان حرب محمد نجيب :

بنى وطنى

إتماما للعمل الذى قام به جيشـكم الباسل فى سبيل قضيتكم تم فى الساعة التاسعة من صباح اليوم بمقابلة حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء وسلمته عريضة موجهة إلى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول تحمل مطلبين على لسان الشعب : الأول أن يتنازل جلالته عن العرش لسمو ولى عهده قبل ظهر اليوم . والثانى أن يغادر جلالته البلاد قبل الساعة السادسة مساء

وقد تفضل جلالته فوافق على الطلبين وتم التنفيذ فى المواعيد المحددة دون حدوث ما يعكر الصفو …

استمعت إلى البيــان وكاد قلبى يقفز من بـين ضلوعى ولم تصدق أذناى ما سمعت فانطـلقت إلى الشارع أشارك الشعب سروره وابتهاجه ورحت أطوف بالشوارع والطرقات فوجدت الناس من فرط السرور لا يعرفون كيف يستقرون على حال

لقد كان زوال الظلم والطـاغية حلما ولـكنه أصبح الآن حقيقة واقعة ، وهـكذا أدركت مصر عناية الرحمن وعاد لشعبها سلطانه وسيادته

الثورة المجيدة

كنت أقرأ فى كتب التاريخ قصصا خالدة كتبتها جيوش بعض الأمم حين وقفت تدافع عن حرياتها الداخلية وكنت أتساءل دائما : لم لا يقف جيشنا يدافع عن حريتنا الداخلية كما يدافع عن أرضنا ضد العدو الأجنبى وكما فعلت جيوش تلك الأمم ؟؟ وجاء الرد يوم ٢٣ يوليو المبارك

وإنى هنا أصف للقراء بعض تلك المواقف . فى ١٦٨٨ كان يحكم إنجلترا الملك جيمس الثانى وكان كاثوليكيا متعصبا يؤمن بالحق الملكى المقدس ميالا إلى التسامح مع الكاثوليك ولذلك كرهه الشعب والبرلمان . وكان الشعب يمنى نفسه بأنه عند انقضاء أجل جيمس الثانى ستعتلى العرش ابنته مارى وكانت بروتستانتية ولكن فى ١٦٨٨ ولد لجيمس ولد من زوجته الكاثوليكية وبذلك صار وارثا للعرش . فلم يطق الشعب صبرا وثار ضد جيمس واستدعى مارى وزوجها وليم أورنج من هولندا للحضور إلى إنجلترا لتولى العرش قدما

أرسل جيمس جيشا ليحول بينهما وبين النزول فى أرض إنجلترا ولكن الجيش رفض أن يحارب الشعب وانضم إلى صفوفه فى الترحيب بمارى ووليم وأسقط فى يد جيمس واضطر أن يغادر إنجلترا إلى فرنسا . وتعرف هذه الثورة بثورة ١٦٨٨ المجيدة .

بعد فرار جيمس اجتمع البرلمان وقرر أن عرش إنجلترا خال ودعا مارى ووليم لاعتلائه ، وكان هذا معناه أن الملك مولى من قبل الشعب وبذلك سقطت نظرية التفويض الإلهى واستقر الحكم الدستورى الملكى فى إنجلترا

وفى فرنسا قامت ثورة ١٨٣٠ ضد ملك طاغية هو شارل العاشر . كان هذا الملك رجعيا ظالما لا يؤمن بحرية الشعب ومن ثم عمد إلى مقاومة الحياة النيابية وتعسف ضد أعضاء البرلمان ولكنهم قاوموه . فحل المجلس أكثر من مرة وعدل قوانين الانتخابات وقيد حرية الصحافة وضاق الشعب ذرعا به فقام بالثورة ضده فى ٢٦ يوليو ١٨٣٠

وأمر الملك الجيش بمحاربة الثوار ، ولكن الجنود رفضوا مقاتلة أبناء وطنهم الذين قاموا يدافعون عن حرياتهم وانضموا إليهم وأسقط فى يد الملك وسقط عن عرشه وغادر أرض فرنسا إلى غير رجعة

وتولى العرش بعده لويس فيليب وكان مفروضا أن تستقر الديمقراطية فى عهده ولكن هذا الملك فشل فى تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا فزيف الانتخابات واشترى ذمم النواب ووقف ضد رغبات الشعب فكرهه الشعب

وزادت كراهية الشعب له بسبب ضعف سياسته الخارجية ، ذلك أن فرنسا كانت تحب أن ترفع رأسها فى أوربا وأن تكون لها الكلمة العليا فى شؤون القارة كما كان الحال فى عهد نابليون

ولكن لويس فيليب كان ضعيفا متخاذلا ومن ثم عمل دائما على الخضوع لرغبات إنجلترا وكانت إذ ذاك أكبر أعداء فرنسا

من ذلك أن فرنسا رفضت أن تعطى إنجلترا حق تفتيش سفنها بحثا عن العبيد الهاربين ، وكان ذلك فى عهد لويس الثامن عشر وشارل العاشر ، ولكن لويس فيليب وافق على ذلك ، وكان فى هذا إذلال للفرنسيين وجرح لشعورهم . من ذلك أيضا أن فرنسا وقفت بجانب محمد على أثناء الأزمة المصرية ١٨٤٠ واعتقد محمد على أن فرنسا ستقف بجواره فى حالة قيام الحرب بينه وبين إنجلترا . ولكن لما اشتد الخلاف وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع تخلى لويس فيليب عن حليفه محمد على وتركه يتلقى وحده ضربات إنجلترا وحلفائها

وأضعفت هذه السياسة المتخاذلة مركز لويس فيليب . وهكذا عجز لويس فيليب عن تحقيق الديمقراطية فى داخل فرنسا وعن إحراز المجد لها فى الخارج

وأخيرا ثار الشعب ضده فى فبراير ١٨٤٨ وأمر الملك الجيش بمقاومة الثوار ولكن الجند رفضوا مقاتلة إخوانهم أنصار الحرية واضطر الملك أن ينزل عن عرشه وأن يغادر فرنسا إلى غير رجعة أيضا

تلك هى مواقف خالدة لبعض الجيوش الوطنية التى قامت لحماية حرية شعوبها

ولكن حركة الجيش المصرى الأخيرة كانت أروع الحركات التى سجلها التاريخ المعاصر

زعماء الحركة القومية

السيد محمد كريم

للأستاذ عبد الباسط محمد حسن

— ١ —

يعتبر السيد محمد كريم أول زعيم من زعماء الحركة القومية .. ظهر فى مصر قبل أن يظهر فيها سعد زغلول ومصطفى كامل وأحمد عرابى .. فكانت حركته بذلك أول صفحة من صفحات الجهاد القومى فى تاريخ مصر الحديث

ولقد كان السيد محمد كريم شخصية فذة ، وزعيما حقا من زعماء الوطنية المصرية .. فاستطاع بمفرده أن يبث الشعور القوى فى نفوس أهالى الإسكندرية .. وجعلهم يواجهون جيوش الثورة الفرنسية فى سنة ١٧٩٨ م

تلك الجيوش التى كانت لا تزال فى عنفوان قوتها ومجدها .. والتى كان يقودها نابليون بونابرت . أعظم شخصية حربية ظهرت فى أوروبا خلال القرن الثامن عشر !

وبعد أن احتل الفرنسيون أرض مصر ، لم يتوقف السيد محمد كريم عن الكفاح لحظة واحدة ، ولم يخضع لمشيئة نابليون ، ولم يطأطئ رأسه كما فعل كثيرون غيره .. بل أخذ يثير روح الكراهية فى نفوس الأهالى ضد الحاكم الجديد .. الذى لم يرغب من نزوله بمصر إلا أن يستبدل حكما بحكم .. واحتلالا باحتلال ... وظل السيد يوالى نشاطه واتصالاته بالبلاد التى تمر بها الجيوش الفرنسية .. فى طريقها إلى مصر .. لتمنع الماء عن رجال الحملة ... ولتقابلهم بكل ما استطاعت من أنواع المقاومة

ولما ضاقت القيادة الفرنسية بجهود السيد محمد كريم .. اتهمته بخيانته للجمهورية الفرنسية ، وإثارته العصيان فى نفوس الأهالى .. وحكمت عليه بالإعدام رميا بالرصاص ... وبذلك أصبح بجانب زعامته للشعب ، أول شهيد من شهداء الحرية .. فى عهد الحملة الفرنسية

* * *

نشأ السيد محمد كريم فى مدينة الإسكندرية نشأة عادية .. كغيره من شبان الثغر .. ولم تكن للاسكندرية قيمة كبيرة فى ذلك الحين .. بعد أن تحول عنها طريق التجارة القديم ، ففقدت بذلك مركزها التجارى العظيم

وكان جمرك الإسكندرية فى يد مراد بك .. يولى عليه من يشاء .. ويعزل من يشاء .. نظير إيراد معلوم

فلما كبر السيد محمد كريم ، ونما عوده ، اشتغل قبانيا .. وكان مشهورا بالصدق والأمانة ، والنشاط وخفة الحركة .. ولذلك سرعان ما عرف اسمه .. وذاع صيته .. حتى سمع به مراد بك ..

مصدر السلطات :

تذهب الدساتير الحديثة جميعا إلى أن الشعب مصدر السلطات وهذه نظرية مقررة ، ولكن أهم من تقريرها أن تكون نافذة وأن يحرص الشعب فعلا على حقوقه فلا يتركها للمضللين والمفسدين

وهذه النظرية ليست حديثة كما يعتقد بل إنها قديمة ، وهى كذلك ليست نظرية مقررة فى الغرب فقط وإنما هى نظرية مقررة فى الشرق منذ جاء الإسلام .

واستمع إلى قول أبى بكر حين تولى الخلافة « أيها الناس : قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى . أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم »

وهكذا قامت الحكومة الإسلامية الأولى على أساس اختيار الشعب وحددت سلطة ولى الأمر ، فإذا عصا الله وجب عزله ، وكان خوف الخلفاء من الله أكبر عاصم لهم من الزلل

وفق الله قادة العصر الجديد إلى ما فيه خير الشعب وسعادته ، ورعى الله كنانته وحفظ لشعبها سيادته وبارك لها فى جيشها الباسل

أبو الفتوح عطيفة